جامعة الأزهر
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
قسم الأديان والمذاهب

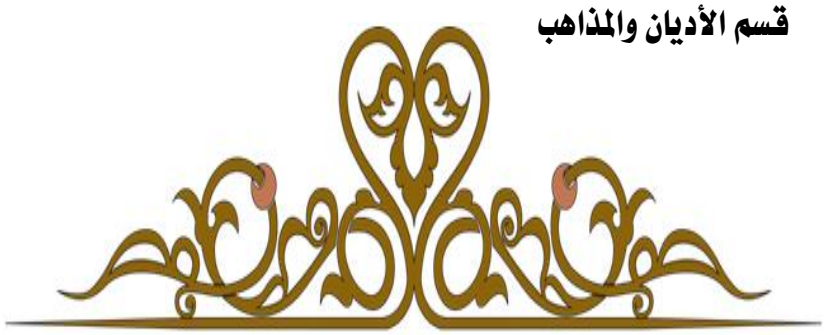

مفهوم الاستشراق
وصلته بأجنحة المكر الأربعة

تأليف
أ ٠ د / محمد محمد محمد إبراهيم كركور
أستاذ مساعد بقسم الأديان والمذاهب بالكلية

١٤٣٩ هـ ـ ٢٠١٨ م

مفهوم الاستشراق

وصلته بأجنحة المكر الأربعة

مُحَمَّد مُحَمَّد مُحَمَّد إبراهيم كركور

قسم الأديان والمذاهب، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر

البريد الإلكتروني: Mohamedkarkoor.13@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

ترجع أهم أسباب اختيار هذا الموضوع إلى بيان مفهوم الاستشراق ، وإلقاء الضوء على بداية نشأته، وأهم الأطوار التاريخية التي مر بها، وبيان أهم الأسباب التي يرمي إليها، والتركيز على بيان أجنحة المكر الأربعة، وتوضيح الصلة الوثيقة التي تربطه بكلٍّ من هذه الأجنحة الأربعة ، والأهداف المشتركة التي تجمعها، ويقوم هذا البحث على المنهج التاريخي الاستدلالي بجناحيه التحليل والاستنباط، واشتمل هذا البحث على مفهوم الاستشراق في اللغة والاصطلاح، ونشأته، وأسبابه، ثم **صلته بأجنحة المكر الأربعة** : التبشير، والاستعمار، والصهيونية، والتغريب، وانتهى البحث إلى أن الاستشراق في اللغة العربية كلمة عصرية، يعني : دراسة حضارة الشرق عامة ، وحضارة الإسلام خاصة ، في مجالها المادي والمعنوي ، بغية تشويهها، وهناك خلاف حول بداية نشأة الاستشراق، كما مرت حركة الاستشراق بأطوار تاريخية ، **و** بذل المستشرقون جهودا مضنية في الدراسات الاستشراقية، لأسباب : دينية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية، كما أن الاستشراق والتبشير وجهان لعملة واحدة ، وتوأمان تجمعهما وحدة الهدف والغاية، وصلة الاستشراق بالتبشير والاستعمار واليهودية الصهيونية والتغريب وثيقة وقديمة.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، أجنحة المكر، التبشير، الاستعمار، الصهيونية، التغريب

The concept of Separation

Connected to the Four Wings of Deception

The seeker.

Mohamed Mohamed Mohamed Ibrahim Kurkur

Department of Religions and Sects, Faculty of Islamic Dawa, Al-Azhar University, Cairo, Egypt

E-Mail: Mohamedkarkoor.13@azhar.edu.eg

Abstract:

The most important reasons for choosing this topic are the statement of the concept of Orientalism, shedding light on the beginning of its origins, the most important historical phases it has gone through, the most important reasons it aims at, focusing on the statement of the four wings of cunning, and clarifying the close link between each of these four wings, and the objectives This research is based on the historical and inferential approach of analysis and deduction. This research includes the concept of Orientalism in language and terminology, its origin, and its causes, and its relation to the four wings of deception: evangelism, colonialism, Zionism and Westernization, The research concluded that Orientalism in Arabic is a modern word, which means: studying the civilization of the East in general, and the civilization of Islam in

particular, in its physical and moral field, in order to distort it. Orientalist studies, for reasons: religious, political, economic or scientific, and that Orientalism and evangelization are two sides of the same coin, and twins united by the unity of purpose and purpose, and the link of Orientalism with evangelism, colonialism, Jewish Zionism and Westernization close and old.

Keywords: Orientalism, wings of deception, evangelism, colonialism, Zionism, Westernization

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله الأمين، صلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على هذا النبي الأمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وارحم اللهم مشايخنا ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين ٠

أما بعـــــد؛؛؛

فإن كراهية وحقد اليهود والنصارى وغيرِهم من المشركين على الإسلام وأهله قديم منذ مولد الإسلام، وصدق الله حينما قال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ (سورة البقرة: الآية ١٠٥)، وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾ (سورة البقرة: الآية ١٠٩) ٠

ولقد ورث الغرب المسيحي نصيباً كبيراً من تلك الكراهية وذلك الحقد، خاصة بعد أن طرق الإسلام أبوابهم، ودخل بلادهم، وتسلل إلى نفوس الكثير منهم، ولم يَخِفّ من وطأة هذا الحقد ما استفاده الغربيون من الإسلام وحضارته، بل تنفَّس هذا الحقد الدفين في صورة حروب عسكرية صليبية حاقدة استمرت قرنين من الزمان (من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلاديين)، واخترقت الكنيسة جدار السياسة، واشترك رجالها مع الملوك والأمراء في هذه الحروب، بل تولى بعضهم القيادة العسكرية، ومنذ أن انتهت تلك الحروب بالفشل من الناحية العسكرية، لم يقطع الغربيون الأمل في السيطرة على بلاد الشرق الإسلامي التي تفيض لبناً وعسلاً، وكرروا تلك المحاولة في القرن التاسع عشر الميلادي، وسيطروا على عدد كبير من بلاد العالم الإسلامي، لكنهم أُجبروا على الرحيل في هذه المرة كسابقتها ٠

ولم ينقطع تفكير الغرب في الانتقام من الإسلام وأهله بطريقة أخرى غير الطريقة العسكرية، فأمعنوا تفكيرهم، وتفتقت أذهانهم عن غزو جديد هو الغزو الفكري والثقافي، يحقق ما لم يحققه الغزو العسكري، وجنَّدوا لهذه الحرب كتائب من المستشرقين يهودا كانوا أو نصارى، قاموا بدراسة التراث الإسلامي من جميع نواحيه الدينية والتاريخية والحضارية، بغرض نقده وإعداد موسوعات من الشبهات حول الإسلام عقيدة وشريعة، لكي يهدموا الإسلام في نفوس أبنائه، ويُبعدوهم عن قيمه وأخلاقه وتشريعاته العظيمة، ويُقصوه عن منصة السياسة والحكم، بحجة أنه لا يصلح لذلك، ويؤكدوا على أن أوربا ما تقدمت مادياً وحضارياً إلا عندما نحَّت الدين جانبا، ويبرروا السياسة الاستعمارية في بلاد العرب والمسلمين ٠

والاستشراق كان ولا يزال جزءا لا يتجزأ من قصة الصراع الحضاري بين العالم الشرقي الإسلامي والعالم الغربي المسيحي، بل يُمثِّل الخلفية الفكرية لهذا الصراع، فقد كان له أكبر الأثر في صياغة التصورات الأوربية عن الإسلام، وفي تشكيل مواقف الغرب عن الإسلام على مدى قرون عديدة، ولا يزال الأوربيون حتى اليوم يستقون معلوماتهم عن الإسلام من كتابات المختصين في هذا المجال من المستشرقين الأوربيين ٠

واستعان الاستشراق في تحقيق أهدافه برفيق دربه التبشير، الذي قام به المنصِّرون المسيحيون، الذين كانت مهمتهم توزيع السم المتمثل في الشبهات التي يصنعها المستشرقون٠ كما استعان بالاستعمار الذي هيأ له أجواء الحماية، وأمده بما يحتاج إليه من مال، حتى يتسنى له القيام بمهمته، التي تصب في إطار خضوع واستسلام أبناء الإسلام للمستعمر الغاصب٠ ولم يَفُتْ الاستشراق في هذا الإطار أن يستعين باليهود الصهاينة، فقد قام الاستشراق على أكتاف عدد كبير من هؤلاء اليهود، الذين روَّجوا لدولة اليهود المزعومة في فلسطين٠ كما كان للاستشراق دور كبير في تغريب العالم العربي

والإسلامي عن مصدر عزته وقوته وبقائه وهو الإسلام ٠

وهذا البحث معنيٌّ ببيان مفهوم الاستشراق ونشأته وأسبابه، وصلته بأجنحة المكر الأربعة: التبشير، والاستعمار، والصهيونية، والتغريب٠ وبالتالي جاء هذا البحث تحت عنوان: "**مفهوم الاستشراق وصلته بأجنحة المكر الأربعة** "٠

أ . أسباب الاختيار: ترجع أهم أسباب اختيار هذا الموضوع إلى الآتي :

١ . بيان مفهوم الاستشراق، وذلك في إطار كشف اللثام عن المصطلحات الخادعة، من خلال المعاجم اللغوية، والتعريفات الاصطلاحية، تلك المصطلحات التي يُخفي وراءها أصحابها أهدافهم الخبيثة ٠

٢ . إلقاء الضوء على بداية نشأة الاستشراق، وأهم الأطوار التاريخية التي مر بها منذ التكوين حتى الازدهار، ومروراً بمرحلة التقدم والانطلاق ٠

٣ . بيان أهم الأسباب التي يرمي إليها الاستشراق، سواء أكانت تاريخية أم دينية أم استعمارية أم سياسية أم تجارية أم علمية أم شخصية ٠

٤ . التركيز على بيان أجنحة المكر الأربعة: التبشير والاستعمار والصهيونية والتغريب، تلك الأجنحة العسكرية والمسلحة بأحدث ما وصل إليه العلم في مجال بث الشبهات وإثارة الفرقة، بهدف السيطرة على بلاد المسلمين، واستغلال ثرواتهم وخيراتهم، وتدمير الإسلام في نفوسهم ٠

٥ . توضيح الصلة الوثيقة والأدلة . أقوالاً كانت أو مواقف أو آثارا . التي تربط الاستشراق بكلٍّ من هذه الأجنحة الأربعة، والأهداف المشتركة التي تجمعها ، والمصالح المتبادلة بينها ٠

ب . الدراسات السابقة:

توجد دراسات علمية سابقة، تحدثت عن جهود بعض العلماء في الرد على اليهود والدفاع عن الإسلام ضد الاستشراق، وأبحاث علمية عرضت افتراءات المستشرقين حول بعض القضايا الإسلامية، وقامت بتفنيدها والرد

عليها، من تلك القضايا: النبوة والدعوة ، الخلافة الراشدة والفتوحات الإسلامية، التراث الإسلامي، قضايا المرأة المسلمة، وها هي عناوين تلك الدراسات والأبحاث العلمية:

١ . ابن القيم وجهوده في الرد على اليهود والنصارى (ماجستير): محمد رشدي إبراهيم، المكتبة المركزية بجامعة الأزهر، رقم عام ٦٩٩١ ٠

٢ . أنور الجندي وجهوده في الدفاع عن الإسلام ضد التبشير والاستشراق والتغريب (ماجستير): عمر السيد أبو سلامة، المكتبة المركزية بجامعة الأزهر، رقم عام ١١١٢٠ ٠

٣ . شبهات المستشرقين حول النبوة والدعوة (ماجستير): محمد زين العابدين محمد، أصول الدين بالقاهرة . قسم الدعوة، رقم ١١١٨ ٠

٤ . افتراءات المستشرقين على الخلافة الراشدة والفتوحات الإسلامية من خلال دائرة المعارف: السيد حسين، أصول الدين بالقاهرة . قسم الدعوة ٠

٥ . شبهات المستشرقين حول التراث الإسلامي: إبراهيم عبد الرحمن، أصول الدين بالقاهرة . قسم الدعوة ٠

٦ . الفكر الاستشراقي في قضايا المرأة المسلمة: محمد علي إسماعيل، أصول الدين بالقاهرة . قسم الدعوة ٠

بعض الدراسات السابقة يركز على الدفاع عن الإسلام بصفة عامة ضد مطاعن المستشرقين، والبعض الآخر يركز على عرض افتراءاتهم حول قضايا إسلامية خاصة ويفندها، والحديث عن "مفهوم الاستشراق وصلته بأجنحة المكر الأربعة" (التبشير والاستعمار والصهيونية والتغريب)، يأتي عرضا في تلك الدراسات، وفي سطور وصفحات قليلة متناثرة، وبعضها خلا تماماً من الحديث عن مفرداتٍ بذلك العنوان، وهذا البحث معنيٌّ بالتركيز على هذا الموضوع بشقيه (المفهوم والصلة) ٠

ج . **منهج البحث:** يقوم هذا البحث على المنهج التاريخي الاستدلالي،

حيث يعتمد على استرداد آثار الماضي، بجمع المعلومات التاريخية ودراستها للوصول إلى حقائق، وربط ذلك بالعصر الحديث للاستفادة منه، ويسبق ذلك ويعقبه استخدام المنهج الاستدلالي بجناحيه التحليل والاستنباط، بذكر الأدلة والأقوال، والتمهيد لها، والتعقيب عليها، ثم التحليل واستنباط النتائج والأحكام، بحيدة وموضوعية، مع عزو النصوص إلى مصادرها، والأقوال إلى قائليها، والترجمة لأهم الأعلام والبلدان والمصطلحات الغامضة الواردة في هذا البحث.

د ـ **خطة البحث:** اشتمل هذا البحث على: مقدمة، ومطلبين، وخاتمة ٠

المقدمة: وتشتمل على: أ ـ أسباب الاختيار ٠ ب ـ الدراسات السابقة ٠

ج ـ منهج البحث ٠

د ـ خطة البحث ٠

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق: ويشتمل على:

أولاً: مفهوم الاستشراق في اللغة والاصطلاح ٠

ثانياً: نشأة الاستشراق ٠

ثالثاً: أسباب الاستشراق ٠

المطلب الثاني: صلة الاستشراق بأجنحة المكر الأربعة: ويشتمل على:

أولاً: صلة الاستشراق بالتبشير ٠

ثانيا: صلة الاستشراق بالاستعمار ٠

ثالثاً: صلة الاستشراق بالصهيونية ٠

رابعاً: صلة الاستشراق بالتغريب ٠

الخاتمة: وتشتمل على: أولاً: أهم النتائج والتوصيات٠ ثانياً: فهرس الأعلام والبلدان والمصطلحات المترجم لها٠

ثالثاً: فهرس المراجع٠ رابعاً: فهرس الموضوعات ٠

وفي نهاية هذه المقدمة أسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً، وأن يأخذ بأيدينا ونواصينا إليه أخذ الكرام عليه، وأن يجنبنا الزَّلل والفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظ الإسلام وأهله وبلاده من كل مكروه وسوء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ٠

أ٠د/ محمد محمد محمد إبراهيم كركور

الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب بالكلية

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق ونشأته وأسبابه

أولاً: مفهوم الاستشراق في اللغة والاصطلاح:

الاستشراق من الكلمات ذات البريق اللامع، والألفاظ التي فيها خداع، ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، مثلها مثل كلمة "التبشير" التي يستخدمها المنصِّرون، و"الاستعمار" التي يستخدمها المخرِّبون الغربيون، و"العلمانية" التي يستخدمها من يريدون فصل المجتمع الإسلامي عن مصدر عزته وقوته (القرآن الكريم والسنة المطهرة)، لذا وجب على الباحث أن يتعرف . بداية . على حقيقة مفهوم هذه الكلمة في اللغة العربية، وحقيقته في اصطلاح أهله، حتى يحكم عليه، فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره٠

أ ـ مفهوم الاستشراق في اللغة:

بالرجوع إلى مادة "ش ر ق" التي هي أصل كلمة الاستشراق في المعاجم اللغوية، يلاحظ أنها وردت بمشتقات ومعانٍ متعددة، أهمها:

١ . "شَرَق": شَرَقت الشمس تَشْرُق شروقا وشرْقا: طلعت، وبابه نَصَرَ ودخل٠ وشَرَقْتُ الشاةَ أشْرُقها شَرَقا: شققت أذنها، وشاة شرقاء بيِّنة الشرق٠ وشرق التمرة: قطفها٠ وقد شرَّقوا إذا ذهبوا إلى الشرق أو أتوا المشرق، وفي الأثر "ولكن شرِّقوا أو غرِّبوا"، وهذا أمر لأهل المدينة، ومن كانت قبلته على ذلك السمت ممن هو في جهة الشمال أو الجنوب (١) ٠

٢ . "شَرِق": شَرِق المكان شَرَقا: أشرقت عليه الشمس٠ ومن المجاز شَرِقت الشمس: ضعف ضوؤها، أو دنت للغروب٠ شَرِق الوضع بأهله: امتلأ

(١) انظر: لسان العرب: الإمام ابن منظور، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م ، دار الحديث (القاهرة)، ج ٥ ص ٩٠ و ٩٢ ٠ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، دار العلم للملايين (بيروت)، ج ٤ ص ١٥١٠ تاج العروس من جواهر القاموس: الإمام === === السيد مُحَمَّد مرتضى الحسيني الواسطي، الطبعة الأولى، ١٣٠٦هـ، المطبعة الخيرية بجمالية مصر، ج ٦ ص ٣٩٢ و ٣٩٣٠ مختار الصحاح: الإمام مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، عني بترتيبه: محمود خاطر، دار الفكر العربي (القاهرة)، ص ٢٣٦ ٠

فضاق، وشَرِق وجهه: احمر من الخجل٠ شَرِق النخل وأشرق وأزهى: لوَّن بحمرة٠ شَرِقت الشاة: انشقت أذنها طولا ولم يبِن فهي شرقاء٠ شَرِقت الأرض: جفت من عدم الري فهي شرِقة٠ شَرِق زيدٌ بريقه شَرَقا فهو شرِق: أي غُصَّ ٠

٣ . "أشرق": أشرقت الشمس شرْقا وشروقا: طلعت وأضاءت وانبسطت على الأرض، يقال: أشرقت الأرض إشراقا إذا أنارت بإشراق الشمس، قال تعالى: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ (١)٠ وأشرق القوم: دخلوا وقت الشروق، كما تقول أفجروا وأصبحوا وأظهروا، قال تعالى: ﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ٦٠ ﴾(٢)، أي لحقوهم وقت دخولهم في شروق الشمس وهو طلوعها٠ أشرق وجهه: أسفر وأضاء وتلألأ حسناً٠ أشرق فلاناً: أغصَّه ٠

٤ . "شرَّق": شرَّقوا: ذهبوا إلى الشرق، أو أتوا الشرق، وكل ما طلع من الشرق فقد شرَّق٠ شرَّق اللحمَ: بسطه في الشمس ليجف، لأن لحوم الأضاحي كانت تُشرَّق فيها بمِنى٠ شرَّق الأرض: منع عنها الماء حتى اشتد جفافها٠ تشرَّق الرجلُ : جلس يستدفئ الشمس وقت الشروق (٣) ٠

٥ . "المشرق": اسم الموضع الذي تشرق عليه الشمس، وهو بكسر الراء في الأكثر، وبالفتح وهو القياس لكنه قليل الاستعمال، وفي النسبة مشرقي، قال تعالى: ﴿ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ ﴾ (٤)، إنما أراد بُعد المشرق والمغرب، فلما جُعلا اثنين غلب لفظ المشرق، لأنه دال على الوجود،

(١) سورة الزمر: الآية ٦٩ ٠ (2) سورة الشعراء: الآية ٦٠ ٠

(٣) انظر: لسان العرب، ج ٥ ص ٩٠ ـ ٩٣٠ تاج العروس، ج ٦ ص ٣٩٢ و ٣٩٣ ٠ المصباح المنير : الإمام أحمد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي المقري، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، === === دار الحديث (القاهرة)، ص ١٨٧٠ القاموس المحيط: الإمام مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي، إعداد وتقديم: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ج ٢ ص ١١٩١٠ المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة، ج ١ ص ٤٩٩ ٠

(٤) سورة الزخرف : الآية ٣٨ ٠

والمغرب دال على العدم، والوجود لا محالة أشرف، والمشرقان: مشرقا الصيف والشتاء ٠ وقال الفراء (١) وغيره من أهل العربية في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ (٢): هذه الشجرة ليست مما تطلع عليها الشمس في وقت شروقها فقط أو في وقت غروبها فقط، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس بالغداة والعشي، فهو أنضر لها وأجود لزيتونها، وقيل: المعنى أنها ليست من شجر أهل الدنيا، أي هي من شجر أهل الجنة، والقول الأول أولى وأكثر ٠ والمشرق: العيد، سمي بذلك لأن الصلاة فيه بعد الشَّرْقة أي الشمس، وقيل المشرق: مصلى العيد ٠ والمشرق: جهة شروق الشمس، والبلاد الإسلامية في شرق الجزيرة العربية، جمعها مشارق ٠

٦ . "الشَّرْق": الشَّرق: الضوء، والشمس حين الشرق، يقال: طلع الشرق، ولا آتيك ما ذرَّ شارقٌ، وجهة شروق الشمس ٠ والشَّرق: الشق، والضوء الذي يدخل من شق الباب ٠ والشرقي: الموضع الذي تشرق فيه الشمس من على الأرض ٠

٧ . "الشَّرَق": الشَّرَق: الشمس، ويقال طلعت الشَّرَق، ولا يقال غربت الشَّرَق ٠ الشَّرَق: دخول الماء إلى الحلق حتى يُغصَّ به، يقال: شرَق الرجل بريقه أو بالماء أو بالطعام إذا غُصَّ به، وفي الأثر "يؤخرون الصلاة إلى شرق الموت"، أي إلى أن يبقى من الشمس مقدارٌ من حياة مَن شرق بريقه عند الموت ٠ ولحم شرق: لا دسم عليه ٠

(١) الفراء : يحيى الفراء (١٤٤ ـ ٢٠٧هـ/ ٧٦١ ـ ٨٢٢م): يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء الديلمي (أبو زكريا)، أديب، نحوي، لغوي، ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وصحب الكسائي، وأدَّب ابني المأمون العباسي، وصنف للمأمون كتاب الحدود في النحو، وتُوفي في طريق مكة ٠ من آثاره: المصادر في القرآن، آلة الكتابة، الوقف والابتداء، المقصور والممدود، معاني القرآن، الأيام والليالي ٠ انظر: معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ج ٤ ص ٩٦ ٠

(٢) سورة النور: الآية ٣٥ ٠

٨ . "المشرقة": مشرقة بضم الراء وفتحها، ومشرقة بفتح الشين وتسكين الراء، والمشراق كمحراب: موضع القعود في الشمس حيث تشرق عليه، وخصه بعضهم بالشتاء ٠ وتشرَّقتُ أي جلست فيه ٠

٩ . "الشارق": الشارق: الشمس تسمى شارقاً، وقيل الشارق قرن الشمس، يقال: آتيك كل شارق، أي كل يوم طلعت فيه الشمس، والشارق الجانب الشرقي وهو الذي تشرق عليه الشمس من الأرض، ويقال: أحمرٌ شارق أي شديد الحمرة ٠

١٠. "التشريق" : تشريق اللحم: تقطيعه وتشريحه وتقديده وبسطه، ومنه سميت أيام التشريق (ثلاثة أيام بعد يوم النحر)، لأن لحوم الأضاحي كانت تُشرَّقُ فيها للشمس، وقيل سميت بذلك لأن الهدي لا يُنحر حتى تشرق الشمس، وفي الأثر "من ذبح قبل التشريق فليُعد"، أي قبل أن يصلى صلاة العيد، وهو من شروق الشمس وإشراقها، لأن ذلك وقتها٠ التشريق: الجَمال وإشراق الوجه، والأخذ في ناحية المشرق، يقال شتان بين مشرق ومغرب٠ الإشراق: ابتعاث نور من العالم غير المحسوس إلى الذهن، تتم به المعرفة٠ المشارقة: سكان المشرق، واحدهم مشرقي (١) ٠

يلاحظ بعد هذا العرض لمشتقات مادة "ش ر ق" ومعانيها في اللغة العربية، ما يلي:

١ . من الواضح أن كلمة "استشراق" منحوتة من مادة "ش ر ق" التي لها أصل واحد في اللغة العربية يدل على الإضاءة والفتح (٢)٠ لكن إذا بحثنا عن

(١) انظر: لسان العرب، ج ٥ ص ٩٠ ـ ٩٣ ٠ الصحاح، ج ٤ ص ١٥١ و ١٥٢ ٠ تاج العروس، ج ٦ ص ٣٩١ ـ ٣٩٣ ٠ القاموس المحيط، ج ٢ ص ١١٩٠ و ١١٩١ ٠ المصباح المنير، ص ١٨٧ ٠ المعجم الوسيط، ج ١ ص ٤٩٩ ٠

(٢) مقاييس اللغة: الإمام أحمد بن فارس بن زكريا ، راجعه وعلق عليه أنس مُحَمَّد الشامي، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، دار الحديث (القاهرة)، ص ٤٧٦ بتصرف ٠

*كما أن كلمة "الاستشراق" مولدة عصرية في اللغة العربية، هي كذلك في اللغات الأجنبية: لم تظهر إلا في

نفس كلمة "استشراق"، فإننا لا نجد لها ذكراً في المعاجم اللغوية القديمة، مما يدل على أن الكلمة ليست عربية خالصة، بل هي مولدة عصرية *، يقال "استشرق": طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم، يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة ([1]) ٠ وبعض العلماء يقول: "الاستشراق في اللغة مصدر، فعله استشرق، والألف والسين والتاء للطلب، فالفعل المجرد شرق" ([2]) ٠

٢ ـ الفعل من هذه المادة يعني: أضاء، أنار، أسفر، تلألأ حسناً، أزهى، قطف، امتلأ وفاض، ذهب إلى الشرق، دخل وقت الشروق، بسط اللحم في الشمس ليجف، جلس يستدفئ الشمس ٠

ومن معاني المشتقات الأخرى: المشرق: اسم الموضع الذي تشرق عليه الشمس، والبلاد الإسلامية في شرق الجزيرة العربية٠ الشَّرق: الضوء، والشمس حين تشرق٠ المشرقة: موضع القعود في الشمس٠ الشارق: قرن الشمس، أو الجانب الشرقي٠ التشريق: الجمال وإشراق الوجه٠ الإشراق: ابتعاث نور من العالم غير المحسوس تتم به المعرفة٠ المشارقة: سكان المشرق ٠

٣ ـ الاستشراق الذي نحن بصدده لا يخرج عن هذه المعاني اللغوية: إن كان المقصود به المكان، فهو المشرق الذي يقابله المغرب، والجانب الشرقي، وبلاد المشرق (البلاد الإسلامية)٠ وإن كان المقصود به اقتباس الحضارة، فهو الإضاءة والإنارة والتلألؤ والازدهار والعلم، الذي كان موجودا وملأ الشرق

القرن السابع عشر الميلادي، حيث أُطلق هذا اللفظ على أحد أعضاء الكنيسة، ففي سنة ١٦٩٦ م وجدنا "أنتوني ود" يصف "صموئيل كلارك" بأنه استشراقي، ويعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية ٠ وظهرت كلمة مستشرق في انجلترا سنة ١٧٧٩م، وفي فرنسا سنة ١٧٩٩م، وأدرجت كلمة "استتشراق" في قاموس الأكاديمية الفرنسية سنة ١٩٣٨م٠ انظر: الاستشراق بين الجحود والإنصاف: الدكتور عبد الله سمك، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ص ٣ و ٤٠ نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر مُحَمَّد عبد اللطيف، ص ٥ و ٦ ٠

(١) انظر : متن اللغة : أحمد رضا، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م، مكتبة الحياة (بيروت)، ج ٣ ص ٣١٠ ٠ المستشرقون والتاريخ الإسلامي: علي حسني الخربوطلي، ١٩٨٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ص ١٢ ٠

(٢) محاضرات في مفهوم الاستشراق: الدكتور/ مُحَمَّد زين العابدين مُحَمَّد، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص ١ ٠

الإسلامي ولا ينبعث إلا منه، يقابله الظلام وغروب الشمس والغُصَّة والجفاف، والتخلف والجهل الذي كان موجودا في الغرب المسيحي٠ فأراد الغرب أن يقتبس ويستفيد من هذا النور، ويقطف من ثمار هذا العلم، وتشرق عليه شمس المعرفة، فكان الاستشراق وكان الذهاب إلى الشرق للاستدفاء بشمسه، سواء أكان الذهاب بحسن نية بقصد نقل العلم والحضارة والاستفادة منهما، أم كان بسوء نية للتعرف على علوم الشرق الإسلامي، بقصد إثارة الشبهات حولها ٠

ب ـ مفهوم الاستشراق في الاصطلاح:

اختلف الباحثون حول الاستشراق كمفهوم له ضوابط وحدود خاصة، وها هي أهم تعريفاتهم للاستشراق:

١. الاستشراق علم ذو حدود واسعة، وأحياناً غير واضحة، إذ يختلط ميدانه بميادين العلوم الأخرى، لأن المستشرق قد يشارك في أبحاثه علماء الآثار والأصوات والحفريات واللاهوت والفنون والفلسفة، وما شاكل ذلك ٠

وكلمة الاستشراق ذات دلالتين: الأولى: أنه علم يختص بفقه اللغة ومتعلقاتها على وجه الخصوص، والثانية: أنه علم الشرق أو علم العالم الشرقي على وجه العموم ([1]) ٠

٢. الاستشراق لا يقتصر على دراسة إحدى اللغات المجهولة للغرب، وإنما يُعنى بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه، كما يُعنى بدراسة الأنحاء المختارة من الشرق، والوقوف على قواه الروحية وآدابه العظيمة، التي أسهمت إسهاماً فعالاً في تكوين ثقافة العالم بأسره ٠

والاستشراق هو الوجه الأكاديمي أو المدون للسياسة الاستعمارية في الشرق،

(١) انظر: من مواقف علماء الأزهر في الدفاع عن الإسلام (دكتوراه): الدكتور/ عبد الله علي عبد الحميد سمك، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، كلية الدعوة الإسلامية (القاهرة)، ص١٩٩ ٠ الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية: رودي بارت، ترجمة: مصطفى ماهر، ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي (القاهرة)، ص ١١ ٠

كما أنه يمثل بُعْدا من أبعاد العلاقة المعقدة بين الشرق والغرب (١) ٠

٣ ـ الاستشراق هو "دراسة علوم الشرق، وأحواله وتاريخه، ومعتقداته، وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية، ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمة الشخصية في كل مجتمع شرقي، فلكل أمة مشخصاتها، ودراسة الأشخاص والهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية في شتى صورها وأنواعها" (٢) ٠

٤ ـ الاستشراق هو "علم الأجانب بحياة الشرق وعلومه وآدابه ولغاته وحضاراته ومدنياته" (٣) ٠ أو هو "علم يدرس لغات شعوب الشرق، وتراثهم، وحضارتهم، ومجتمعاتهم، وماضيهم، وحاضرهم" (٤) ٠

٥ ـ من العلماء مَنْ فرَّق بين تعريف الاستشراق اليوم والاستشراق في القرون الوسطى (٥)، فقال: "يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ

(١) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: الدكتور/ محمود حمدي زقزوق، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ص٢٤ ٠ الاستشراق بين الجحود والإنصاف: الدكتور/ عبد الله سمك، ص ٤ و ٥ ٠ مخططات التنصير لغزو العالم الإسلامي من خلال مؤتمر كولورادو ١٩٧٨ م (دكتوراه): الدكتور/ عادل مُحَمَّد عبد القادر علي، كلية الدعوة الإسلامية (القاهرة)، ص ٢٢٢ ٠

(٢) الاستشراق وجه للاستعمار الفكري: الدكتور/ عبد المتعال مُحَمَّد الجبري، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، مكتبة وهبة (القاهرة)، ص ١٣ ٠

(٣) محاضرات في مفهوم الاستشراق: الدكتور/ مُحَمَّد زين العابدين، ص ٢ ٠

(٤) التنصير بين الماضي والحاضر وكيفية مواجهته: الدكتور/ مُحَمَّد زين العابدين مُحَمَّد والدكتور/ عادل مُحَمَّد درويش، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، المنار للطباعة والنشر، ص ١٨٢ ٠

(٥) القرون الوسطى: القرون الوسطى في التاريخ الأوروبي هي التسمية التي تُطلق على الفترة التي امتّدت من عام ٥٩٠ إلى عام ١٥١٧م، حيث بدأت بانهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية، واستمرّت حتى عصر النهضة والاستكشاف٠ وقد سُمِّيت بالعصور الوسطى لتوسطها بين فترتين متميزتين من تاريخ المسيحية ، أولاهما هي فترة الظهور والانتشار، والأخرى هي فترة عصر الإصلاح البروتستانتي الذي بدأه "مارتن لوثر" في القرن السادس عشر٠ انظر: تاريخ المسيحية: المسيحية في العصور الوسطى: جاد المنفلوطي، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية (القاهرة)، ص ٣ ٠ ويكيبيديا الموسوعة الحرة ٠

الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره ٠ ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لعلاقتها بالعالم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغموراً بما تُشعه منائر بغداد (١) والقاهرة (٢) من أضواء العلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا في غياهب الجهل الكثيف، والبربرية الجموح" (٣) ٠

٦ . الاستشراق "اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة٠ ولقد كان الاستشراق في بداية ظهوره مقتصرا على دراسة الإسلام وحضارته، واللغة العربية وآدابها، ثم بعد ذلك اتسعت مجالات الاستشراق، وأصبحت تشمل دراسة الشرق كله: لغاته، أديانه، تقاليده، آدابه٠ ولكن أهم ما اعُني به المستشرقون في دراساتهم هو الدين الإسلامي واللغة العربية، لأن ذلك مثار اهتمام المستشرقين الأول، والذي يمثل النزاع الفكري والسياسي والعقائدي الذي يسود

(١) بغداد: عاصمة جمهورية العراق، يبلغ عدد سكانها حوالي ٧.٦ مليون نسمة في عام ٢٠١٣م، ما يجعلها أكبر مدينة في العراق وثاني أكبر مدينة في الوطن العربي بعد القاهرة. وتأتي بالمرتبة ١٦ عالمياً من حيث عدد السكان. وتُعد المدينة المركز الاقتصادي والإداري والتعليمي في الدولة. بناها الخليفة العباسي المنصور في القرن الثامن، واتخذها عاصمةً للدولة العباسية ٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٢) القاهرة: عاصمة جمهورية مصر العربية وأكبر وأهم مدنها على الإطلاق، وتعد أكبر مدينة عربية من ناحية السكان والمساحة، وتحتل المركز الثاني أفريقياً والسابع عشر عالمياً من حيث التعداد السكاني، يبلغ عدد سكانها ٩.٥ مليون نسمة حسب إحصائيات عام ٢٠١٥م ٠ يعود تاريخ المدينة إلى نشأة مدينة أون الفرعونية أو هليوبوليس" عين شمس حالياً" والتي تعد أقدم عواصم العالم القديم. أما القاهرة بطرازها الحالي فيعود تاريخ إنشائها === === إلى الفتح الإسلامي لمصر على يد عمرو بن العاص عام 641 وإنشائه مدينة الفسطاط، ومع دخول الفاطميين مصر بدأ القائد جوهر الصقلي في بناء العاصمة الجديدة للدولة الفاطمية بأمر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وذلك عام 969 م، وأطلق عليها الخليفة اسم "القاهرة"٠وتعد القاهرة أيضاً مقرا للعديد من المنظمات الإقليمية والعالمية ٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٣) بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد: الدكتور/ علي مُحَمَّد عبد الوهاب، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، دار ركابي للنشر، ص ١٩٧ ٠

عصرنا الحالي" (١) ٠

٧ ـ الاستشراق تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين، شعوبهم وتاريخهم، وأديانهم ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم وأرضهم وحضاراتهم، وكل ما يتعلق بهم (٢) ٠

٨ ـ الاستشراق هو "ذلك التيار الفكري الذي تَمثَّل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي، معبِّرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما" (٣) ٠

٩ ـ الاستشراق هو "حرب الكلمة التي شنَّها الغرب المسيحي على الشرق الإسلامي، منذ القرن الثامن الميلادي، وما زال يستخدمها ضدنا حتى الآن، وإن لبست أثوابا مختلفة على مر العصور، كي يحقق أهدافه، قام به القساوسة (٤) والرهبان (٥) من يهود (٦) ونصارى بعد أن أماتوا اليهودية (١)

(١) بين الإسلام والغرب: الدكتور/ علي محمد عبد الوهاب، ص ١٩٧ و ١٩٨ ٠

(٢) أجنحة المكر الثلاثة: الدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الطبعة السابعة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، دار القلم (دمشق)، ص ٥٠ بتصرف ٠

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي (الرياض)، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، ص ٣٣ ٠

(٤) القسيس: كلمة يونانية بمعنى شيخ، وهي معربة من الكلمة السريانية فشيشو، ويبدو أن أصل نشأتها يرجع إلى مجلس القدماء "سانهديران" في المعبد اليهودي، وجمعها قسيسون وقساوسة، والقسيس رئيس النصارى في العالم، والمفتي في الدين، ومقيم الصلوات، ومرتبته بين الأسقف والشماس، وقد ورد ذكر القسيسين مرة واحدة في القرآن الكريم ٠ انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الدكتور/ مانع بن حماد الجهني، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع (الرياض)، ج ٢ ص١١٢٥ ٠

(٥) الراهب: الراهب من النصارى هو ساكن الدير، والجمع رهبان، والرهبانية هي حياة جماعية تُقضى في أديرة خاصة لغرض ديني، وتشمل الرجال والنساء، بزعم أن مؤسس الرهبنة هو المسيح "عليه السلام" . انظر: نفس المرجع، ج ٢ ص ١٠٦٩ ٠

(٦) اليهود: المنحدرون من إبراهيم "عليه السلام"، والمعروفون بالأسباط من بني إسرائيل، الذين أرسل الله إليهم

والمسيحية ([٢]) ٠٠٠ والاستشراق عبارة عن أيديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراضات ٠ والدارس لأعمال المستشرقين لا يحتاج إلى بذل جهد كبير ليرى تعمُّدَهم تزييف الحقائق، للوصول إلى نتائج تهدف في النهاية إلى رسم صورة مشوهة سقيمة عن الإسلام في نظر الغربيين، وإلى زلزلة عقيدة الإسلام وتمييعها في أعين أبنائها من المسلمين" ([٣]) ٠

والذي يعنينا هنا هو هذا المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يَعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي، في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام٠ وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي، عندما يُطلق لفظ "استشراق" و"مستشرق"، وهو الشائع أيضا في كتابات المستشرقين المعنيين ([٤]) ٠

موسى "عليه السلام" ليكون لهم نبياً٠ انظر: الموسوعة الميسرة: الدكتور مانع بن حماد الجهني، ج ١ ص ٥٠٠ ٠

(١) اليهودية: "ديانة المنحدرين من إبراهيم "عليه السلام"، والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل، الذين أرسل الله إليهم موسى "عليه السلام" ليكون لهم نبياً" ٠ انظر: نفس === === المرجع، ج ١ ص ٥٠٠ ٠ والمقصود باليهودية هنا ، الديانة المحرفة الموجودة حالياً٠

(٢) المسيحية: هي ما جاء به المسيح "عليه السلام" من نصوص كلامه، لا ما ألحق بكلامه وسيرته من التأويل٠ والقرآن الكريم أطلق على هؤلاء الذين حرفوا ما جاءهم به عيسى "عليه السلام": النصارى، وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين، وديانتهم بالمسيحية، وهي تسمية لا توافق واقعهم، لتحريفهم دين المسيح "عليه السلام"، وتبديلهم التوحيد بالشرك، فالأولى أن يطلق عليهم نصارى أو أهل الكتاب٠ انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء : الدكتور/ رءوف شلبي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م، دار التوحيد (المنصورة)، ص ٨٧٠ دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية: الدكتور/ سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة)، ص١٠٣ ٠

(٣) أضواء على الاستشراق والمستشرقين: الدكتور/ مُحَمَّد أحمد دياب، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، دار المنار للنشر والتوزيع (القاهرة)، ص ٧ ـ ١٢ ٠

(٤) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: الدكتور/ محمود حمدي زقزوق، ص ٢٤ و ٢٥ ٠

والمستشرق هو أوربي أو أمريكي غير مسلم بصفة خاصة، أو غربي لا يدين بالإسلام بصفة عامة، يتخصص في دراسة الشرق أو في جانب من علومه المختلفة، أو هو من تَبحَّر في لغات الشرق وآدابه ومعتقداته وعاداته وتقاليده٠ وقد اختلف العلماء فيمن يسمى مستشرقاً، فمنهم من يخصص الكلمة لكل من تخصص في دراسة الشرق سواء أكان غربياً أم شرقياً، ومنهم من يُخرج الشرقي من دائرة المستشرقين، والأصح أن المستشرق هو من يدرس الشرق عموما من غير العرب ٠

والمستشرقون هم جماعة من الكُتَّاب الغربيين غالباً، الذين خَصَّصوا جزءًا من حياتهم في دراسة وتتبُّع المواضع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق، ويكتبون عن الفكر الإسلامي بصفة خاصة، ولهم طبقات من حيث الزمن، ومن حيث الاتجاه العام نحو الإسلام حسب دوافعهم، ومن ثم تتفاوت فئاتهم، ويتفاوت الحكم عليهم (١)٠

ويلاحظ على هذه التعريفات: أن منها ما هو عام، يُعنى بدراسة حضارة وعلوم الشرق بصفة عامة، ومنها ما هو خاص، يُعنى بدراسة حضارة وعلوم الإسلام بصفة خاصة، وهو المقصود عند إطلاق كلمة "استشراق"٠

ويمكن أن يُعرَّف الاستشراق في مفهومه الشامل بأنه: دراسة الحضارات الشرقية بصفة عامة، والحضارة الإسلامية بصفة خاصة، في مجالها المادي والمعنوي، من غربي أو شرقي لا يدين بالإسلام بصفة عامة، أو غربي أوربي أو أمريكي غير مسلم بصفة خاصة، لغاية معينة تختلف باختلاف أسبابها ٠

كما أن إطلاق لفظ "عالم" على المستشرق، ووصف الاستشراق بكونه علم من العلوم، فيه من الخلط ما لا يخفى، وذلك لسببين: الأول: أن كثيرا من

(١) انظر: محاضرات في مفهوم الاستشراق: الدكتور/ مُحَمَّد زين العابدين، ص ٢ ٠ الاستشراق بين الجحود والإنصاف: الدكتور/ عبد الله سمك، ص ٥ و ٦ ٠ التنصير بين الماضي والحاضر: الدكتور/ مُحَمَّد زين العابدين، والدكتور/ عادل درويش، ص ١٨١ و ١٨٢ ٠

الدراسات الاستشراقية صدرت من قسس ورهبان، ولم تصدر جميعها عن علماء وباحثين٠ الثاني: أن وصف الاستشراق بكونه علم يتنافى مع الحقيقة، لأن العلم بمعناه الدقيق لا بد له من موضوع وأهداف واضحة يغلب عليها الطابع الإنساني الإيجابي، ولا بد له من منهج ثابت ذي ضوابط محددة، يلتزم بها العلماء، ويتسم بالموضوعية والنزاهة والإنصاف، والدراسات الاستشراقية لا تنطبق عليها مثل هذه الشروط ٠

ثانياً: نشأة الاستشراق:

بدأ الاستشراق، ومر بأطوار تاريخية عدة، بداية بالتكوين، وانتهاء بالازدهار، ومروراً بالتقدم والانطلاق، وإليك هذه البداية وتلك الأطوار:

أ ـ بداية الاستشراق:

اختلف الباحثون حول تحديد بداية الاستشراق، على النحو التالي:

الرأي الأول: يرى أصحاب هذا الرأي أن الاستشراق بدأ في القرن الأول الهجري السابع الميلادي، مستدلين على وجهة نظرهم بما وقع من توجيه الأسئلة من أهل الكتاب إلى رسول الله "ﷺ" بهدف تعجيزه، وما حدث من جدل وحوار بين أهل الكتاب والمسلمين، ومحاولة اليهود التشكيك في عقيدة المسلمين بإثارة الشبهات، والقدْح في السمعيات، بل وصل الأمر بهم إلى حد أنهم كانوا يدخلون الإسلام نفاقا أول النهار ويكفرون آخره، ليردوا المسلمين عن دينهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (١)٠

كما جادل اليهود الرسول "ﷺ" في شأن النسخ بقصد الطعن في شريعة الإسلام، وقالوا: ألا ترون أن محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ما هذا من شأن الأنبياء، وما هذا القرآن من كلام محمد ٠ وقد رد

(١) سورة آل عمران : الآية ٧٢ ٠ (٢) سورة البقرة : الآية ١٠٦ ٠

القرآن الكريم على تلك الشبهة مبينا الحكمة من النسخ، كي يزداد المؤمنون إيماناً، بقوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ ﴾ (١) ٠ ولا شك أن هذه المزاعم التي روجها اليهود حول شريعة الإسلام، وإن لم تكن في حقيقة الأمر استشراقا بما تعنيه الكلمة اليوم، إلا أنها كانت البذرة الأولى للاستشراق الذي يهدف إلى تشكيك المسلمين في دينهم وإثارة الشبهات حول الإسلام ٠

وفي الوقت الذي قامت فيه دولة الإسلام بالمدينة المنورة تستمد حياتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، ترَصَّد أعداؤها للدعوة الإسلامية، ووصل الأمر بهم إلى أن دخل البعض منهم في الإسلام، لترويج الأفكار المريضة، وبث الشبهات، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ اليهودي (٢) الذي أبطن اليهودية وأظهر الإسلام، وحرص على الكيد للدعوة الإسلامية، فزرع فكرة ألوهية الإمام علي بن أبي طالب (٣) "رضي الله عنه"٠ ويعتبر هذا العمل بداية للطعن في الإسلام،

(٢) عبد الله بن سبأ اليهودي: يقول المؤرخون إن هذه الشخصية من صنعاء باليمن، ولأنه من أم حبشية فكثيراً ما يطلق عليه "ابن السوداء"، وهو من أصول يهودية، أسلم نفاقا زمن عثمان بن عفان ليكيد بالإسلام وأهله، وتُنسب إليه روايات تاريخية بأنه هو مشعل الاضطرابات والاحتجاجات ضد الخليفة الثالث عثمان بن عفان في الخفاء، وكان من الغلاة بحب علي بن أبي طالب وادعاء ألوهيته، وقام سيدنا علي بنفي ابن سبأ للمدائن، وبعد استشهاد علي، ادعى ابن سبأ غيبته بعد وفاته . =وهو أول من نادى بولاية علي بن أبي طالب وبأن لكل نبي وصياً وأن وصي هذه الأمة هو علي بن أبي طالب، وأول من أظهر الطعن والشتم في الصحابة وخصوصاً أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعائشة بنت أبي بكر زوج الرسول "ﷺ"، فابن سبأ أصل التشيع بصفة عامة وأصل الفتن الإسلامية الأولى كفتنة مقتل عثمان وهو يقرأ القرآن سنة35 هـ، وبمقتل الخليفة عثمان بن عفان كان ابن سبأ قد فتح باباً لفتن أخرى طال أمدها بين المسلمين، ومنها حرب الجمل، ويسمى أتباعه بالسبئية. انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٣) علي بن أبي طالب : هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب، ابن عم رسول الله "ﷺ" وصهره، وأبو السبطين، وأول الناس إسلاماً، هاجر إلى المدينة، وشهد جميع المشاهد إلا تبوك، فإن الرسول ﷺ خلفه على أهله . توفى سنة أربعين هجرية، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، توفى وهو ابن سبع وخمسين سنة، وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر . انظر: أسد الغابة في معرفة

ونواة لعدائه، جاءت مع القرن الأول الهجري، مما يؤكد أن الاستشراق بدأ مع ظهور نور الإسلام ([1]) ٠

الرأي الثاني:

يؤرخ بعض الباحثين لحركة الاستشراق بالقرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، ويستدلون على ذلك بما قام به بعض العلماء من أهل الديانات الأخرى من طعن في الإسلام٠ وعلى سبيل المثال وُجد في القرن الثاني الهجري يوحنا الدمشقي ([2]) المعروف بآثاره في الدراسات الاستشراقية، حيث ألف كتابا سماه "حياة محمد"، قدَّم الإسلام فيه على أنه فرقة مسيحية مارقة، ظهرت على يد الإمبراطور البيزنطي "هرقل" ([3])، بفعل متنبئ من العرب يدعى حامداً (محمداً)، وهو الذي ادَّعى أن الرسول ﷺ قارئ وكاتب، وأنه أخذ التوحيد عن أريوس ([4]) الذي طردته الكنيسة ([1])، وهو الذي دسَّ أول فرية

الصحابة: الإمام على بن مُحَمَّد الجزرى "ابن الأثير"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت)، ج ٣ ص٥٨٨ و ٦١٩ .

(١) انظر: نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر مُحَمَّد عبد اللطيف، ص ١١ و ١٢ ٠ محاضرات في مفهوم الاستشراق: الدكتور/ مُحَمَّد زين العابدين، ص ٥ ٠

(٢) يوحنا الدمشقي (٦٧٦ ـ ٧٤٩ م): مؤسس الاستشراق في الشرق، خلف أباه على بيت المال في خلافة هشام، وكان واسع الاطلاع على علم الجدل والمناظرة، وله مصنفات منها: "منبع العلم" وفيه بحث عن الفرق والمذاهب، و "محاورة مع مسلم"، و "إرشاد النصارى في جدل المسلمين"، وكان اسمه العربي "منصور"، وكان من الذين حملوا راية الدس والتضليل على الإسلام في فترة مبكرة ٨١ ـ ١٣٧هـ/ ٧٠٠ ـ ٧٥٤م، وهو بهذه المثابة يُعدُّ القدوة للمستشرقين الذين ظهروا من بعده ٠ انظر: أضواء على الاستشراق والمستشرقين : الدكتور مُحَمَّد أحمد دياب ، ص ٦٧ ٠

(٣) هرقل: فلافيوس أغسطس (٥٧٥ ـ ٦٤١م)، إمبراطور الإمبراطورية البيزنطية، بدأ صعوده إلى السلطة عام ٦٠٨، ويعتبر مؤسس السلالة الهراقلية التي استمرت بحكم الإمبراطورية البيزنطية حتى عام ٧١١م، وتشير المصادر الإسلامية إلى وجود رسالة من النبي مُحَمَّد ﷺ إلى هرقل، يدعوه فيها إلى الدخول في دين الإسلام. انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٤) أريوس: هو أريوس المصري، مؤسس أكبر الطوائف النصرانية الموحدة ، ظهر في القرن الرابع الميلادي، وأخذ

تناقلها الناس بعده من أن النبي ﷺ عشق زينب بنت جحش (٢)، وقد انتقلت أباطيل هذا الرجل ومن نحا نحوه من رجال بيزنطة إلى غرب أوربا، فكانت معلومات أوربا الأولية عن الإسلام هذه المصادر البيزنطية غير الصادقة ٠

ومما يَستدل به أصحاب هذا الرأي أنه بعد دخول المسلمين الأندلس (٣) عام ٧١١م، أقبل الغرب المسيحي وخاصة الأسبان على دراسة مذاهب

على نفسه مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من ألوهية المسيح، منكراً ما جاء في الأناجيل مما يوهم تلك الألوهية، وكانت عقيدته في عيسى " عليه السلام " أنه إنسان مخلوق وليس بإله ولا ابن إله ، وكان يؤمن بإله واحد أزلي لا مثيل له في ذاته ولا صفاته ، ولقد عُقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م للنظر في عقيدة أريوس المخالفة لكنيسة الإسكندرية، والتي انتشرت انتشاراً كبيراً، وقرر هذا المجمع حَرْم أريوس ونفيه وحرق كتبه وتحريم قراءتها٠ انظر: محاضرات في النصرانية: الإمام مُحَمَّد أبو زهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م، دار الفكر العربي (القاهرة)، ص١١٣٠ دراسات في === === النصرانية: الدكتور/ عادل مُحَمَّد مُحَمَّد درويش، والدكتور/ عبد الله حسن علي، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ص ١٤٠ و١٤١ و ١٤٤ ٠

(١) الكنيسة: كلمة سريانية معناها جمع أو اجتماع، وتعني في العهد الجديد جماعة مدعوة لغرض ما، وقيل إنها المكان الذي تؤدى فيه الطقوس الدينية ، ويستدلون على هذا المعنى بما ورد في إنجيل متى (١٦: ١٨)٠ انظر: الموسوعة الميسرة: الدكتور: مانع بن حماد الجهني ، ج٢ ص ١١٤٤٠ دائرة المعارف الكتابية، مجلس التحرير: القس صموئيل حبيب وقساوسة آخرون، المحرر وليم وهبة بباوي، دار الثقافة (القاهرة)، ج ٦ ص ٣٨٧ و ٣٨٨ ٠

(٢) زينب بنت جحش: ابنة رباب الأسدية من أسد خزيمة، أول أمهات المؤمنين وفاة، أمها أميمة بنت عبد المطلب، وكان اسمها برة ، فسماها رسول الله ﷺ زينب ، وهي التي زوجه الله بها، وكانت ديّنة ورعة عابدة كثيرة الصدقة٠ ماتت في سنة عشرين، وصلَّى عليها عمر، ودفنت بالبقيع٠ انظر: سير أعلام النبلاء: الإمام/ مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، مكتبة الصفا (القاهرة)، ج ٣ ص ١٠٧ ٠

(٣) الأندلس: إقليمٌ وحضارةٌ إسلاميَّة قامت في أوروبَّا الغربيَّة على الأراضي التي تُشكِّلُ اليوم إسبانيا والبرتغال، أو هي الأراضي الأيبيريَّة التي فتحها المسلمون وبقيت تحت ظل الخِلافة الإسلاميَّة مُنذ سنة ٧١١م حتَّى سنة ١٤٩٢م، حينما سقطت الأندلس بيد اللاتين الإفرنج وأُخرج منها المسلمون٠ وهي كلمة أعجمية لم يستعملها العرب في القديم، وإنما عرفها العرب في الإسلام، وهي جزيرة كبيرة (يحيط بها الماء من معظم الجهات)، وسميت === === جزيرة بالغلبة، كما سميت جزيرة العرب ، وأرض الأندلس من على البحر تواجه من أرض المغرب تونس٠ انظر: معجم البلدان: الإمام/ الحموي، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، دار صادر (بيروت)، ج ١ ص ٢٦٢ و ٢٦٣ ٠ الموسوعة الحرة ٠

أهل الدين والفلاسفة المسلمين، ودراسة اللغة العربية وآدابها، وأنفقوا في سبيل ذلك جهوداً مضاعفة وأموالاً طائلة، بسبب إعجابهم بما كان لدى العرب والمسلمين من حضارة (١) ٠

الرأي الثالث: يرى أصحاب هذا الرأي أن حركة الاستشراق بدأت في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، حيث ازدهرت حركة الاستشراق وانتشرت المراكز العلمية في العالم الإسلامي، وبدأ الأوربيون يتوافدون عليها، وفي سنة ١١٤٣م تمت ترجمة القرآن الكريم لأول مرة إلى اللغة اللاتينية، وفي القرن الثاني عشر الميلادي أيضا نشأ أول قاموس لاتيني عربي ٠

الرأي الرابع: يذهب بعض الباحثين إلى أن القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي يُعدُّ بداية الاستشراق، وفي هذا القرن دعا "الفونس" (٢) (ملك قشتالة) "ميشيل سكوت" (٣) ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضارتهم،

(١) انظر: أضواء على الاستشراق والمستشرقين: الدكتور/ محمد أحمد دياب، ص ٦٧ ـ ٦٩٠ محاضرات في مفهوم الاستشراق: الدكتور/ محمد زين العابدين، ص ٦٠ نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر عبد اللطيف، ص ١٢ و ١٣ ٠

(٢) الفونس: الفنس بن شنجه أو ألفونسو الساد (1109 – 1040) ، ملك ليون من سنة ١٠٦٥م إلى ١١٠٩م وملك قشتالة منذ سنة 1072 م بعد وفاة أخيه. ألفونسو السادس هو الابن الثاني للملك فرناندو الأول ملك ليون وقشتالة ٠ وبعد وفاة والده، قُسمت مملكته بين أبنائه، فكان نصيب ألفونسو ليون. ولم يمض وقت طويل حتى اغتيل سانشو في عاصمة ملكه، مما أعطى الحق لألفونسو للمطالبة بالعرش. وبعد أن خضعت له قشتالة وليون قويت شوكة ألفونسو، واستدار نحو ممالك الطوائف المجاورة، وأغار عليها من فترة إلى === === أخرى حتى واتته الفرصة المناسبة التي استطاع فيها إسقاط طائفة طليطلة وضمها إلى مملكته سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ٠ انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٣) ميشيل سكوت: اسكتلندي عاش تقريبا بين عامي ١١٧٥ – ١٢٣٥، باحث ورياضي وطبيب، درس في أكسفورد حيث تعلم الفلسفة والرياضيات، ويظهر أنه درس الدين حيث طلب البابا هونوريوس الثالث من كبير أساقفة كانتربري أن يمنح مركزا دينيا لسكوت في إنكلترا عام ١٢٢٣ أو 1224 ٠ وذهب إلى طليطلة وكان قد تعلم فيها العربية حيث اطلع على الأعمال الأصلية لابن سينا وابن رشد والنسخ العربية من أعمال أرسطو، وترجم عددا من أعمال أرسطو من العربية والعبرية. انظر: الموسوعة الحرة ٠

فجمع "سكوت" طائفة من الرهبان في بعض الأديرة (١) بالقرب من مدينة طليطلة (٢)، وشرعوا يترجمون بعض الكتب من اللغة العربية إلى لغة الفرنجة، ثم قدَّمها "سكوت" لملك صقلية (٣) الذي أمر باستنساخ نسخ منها، وبعث بها هدية إلى جامعة باريس (٤)٠ وكذلك قام "ريموند لول" (١) (رئيس

(١) الدير : دار الرهبان والراهبات، ويقال لرئيس القوم ومقدمهم: هو رأس الدير، (ج) أديار، وديورة ٠ انظر: المعجم الوسيط، ج ١ ص ٣١٧ ٠

(٢) طليطلة: مدينة إسبانية تقع على بعد ٧٥ كيلومتراً جنوب العاصمة الإسبانية مدريد. أُعلنت طليطلة موقع تراث ثقافي عالمي من قبل اليونسكو في 1986 بوصفها واحدة من العواصم السابقة للإمبراطورية الإسبانية ومكان لتعايش الثقافات الدينية. طليطلة مدينة إغريقية قديمة للغاية، ويرجع اسم المدينة إلى العهد الروماني، حيث كان يطلق عليها اسم "توليدو" وتعني بالرومانية "المدينة المحصنة"، وكانت تعرف في القرون الوسطى باسم "مدينة التسامح" حيث كان يتعايش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون. اشتهرت أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا، حيث كانت مدينة أندلسية عريقة في القدم، فُتحت على يد المسلمين بقيادة طارق بن زياد عام (٧١٢م) ٠ انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٣) صقلية: أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، ومنطقة ذاتية الحكم في إيطاليا. === === اسمها الرسمي هو منطقة الحكم الذاتي الصقلية. خلال معظم تاريخها كانت صقلية موقعاً استراتيجياً حاسماً، ويعود ذلك في جزء كبير لأهميتها في طرق التجارة المتوسطية، وهي أعظم وأجمل مدينة في اليونان القديمة، وكانت الجزيرة دولة في حد ذاتها في إحدى مراحل تاريخها. صقلية اليوم إقليم حكم ذاتي في إيطاليا، وتبلغ مساحتها ٢٥,٧٠٨ كم٢ لتكون بذلك أكبر الأقاليم الإيطالية مساحة، ويبلغ تعداد سكانها ما يزيد قليلاً عن خمسة ملايين نسمة. انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٤) باريس: عاصمة فرنسا وأكبر مدنها من حيث عدد السكان. تقع على ضفاف نهر السين في الجزء الشمالي من البلاد، ويبلغ عدد سكانها ٢,٢٤٣,٨٣٣ عام ٢٠١٠ ضمن نطاقها الإداري فقط. ظلت باريس منطقة فائقة الأهمية لما يزيد على ألفي عام، ومع مطلع القرن الثاني عشر، أصبحت باريس مركزاً أوروبياً للعلم والفنون وأكبر مدن العالم الغربي حتى أوائل القرن الثامن عشر .كانت باريس مسرحاً للعديد من الأحداث السياسية الهامة على مر التاريخ، مثل الثورة الفرنسية .أما في الوقت الحاضر، فإنها تعتبر واحدة من أكبر المراكز الاقتصادية والثقافية ذات التأثير الهام في السياسة والعلوم والترفيه والإعلام والأزياء والفنون مما جعلها واحدة من مدن العالم الرئيسة. انظر: الموسوعة الحرة ٠

أساقفة طليطلة) بنشاط كبير في الترجمة، ومع مرور الزمن توسع الأوربيون بالنقل والترجمة في مختلف العلوم والفنون ٠

وبذل مبشرون آخرون جهوداً كبيرة لإنشاء كراسي لتدريس اللغة العربية، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى القول بأن الغرب النصراني يؤرخ لبدء وجود "الاستشراق الرسمي" بصدور قرار مجمع "فيينا" (٢) الكنسي في عام ١٣١٢م (القرن الرابع عشر الميلادي) بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية، ولكن الإشارة هنا إلى الاستشراق الرسمي تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمي يقوم به أفراد قبل هذا التاريخ، فضلاً عن أن هناك باحثين أوربيين لا يعتمدون التاريخ المشار إليه بداية للاستشراق (٣) ٠

الرأي الخامس: يؤرخ بعض للباحثين لبداية الاستشراق بالقرن العاشر

---

(١) ريموند لول: أسباني فيلسوف، ومن أسرة ميسورة الحال. أُولع بالشعر، ثم انضم إلى رهبنة الفرنسيسكان . انكب على دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، قاصداً دعوة المسلمين إلى المسيحية. سافر من أجل ذلك إلى شمال إفريقية غير مرة، ولقي حتفه هناك. حاول في مؤلفاته، وخاصة «الفن الأكبر»، أن يدافع عن المسيحية ضد الإسلام وضد فلسفة ابن رشد0 انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٢) فيينا: عاصمة النمسا، وأكبر مدنها من حيث عدد السكان، وسميت بهذا تطويراً عن اسمها اللاتيني القديم (فيندوبونا)، ومعناه الهواء الجميل أو النسيم العليل. يبلغ عدد سكان فيينا حوالي ١.٧ مليون نسمة، وهي عاشر أكبر مدينة من ناحية عدد السكان في الاتحاد الأوروبي .أُختيرت فيينا للمرة الخامسة وفقاً لتقرير مؤسسة "ميرسر" كأفضل مدينة في العالم من حيث مستويات جودة المعيشة في عام ٢٠٠٩- ٢٠١٠-٢٠١٤-٢٠١٥- ٢٠١٦ . اشتهرت فيينا بكونها مركزًا عالميًا للتعليم والأدب والموسيقى والعلوم .وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في سنة 1945 أصبحت فيينا مركزاً عالمياً للمؤتمرات والوكالات، وتستضيف العديد من المنظمات الدولية الكبرى مثل منظمة الأمم المتحدة ومنظمة أوبك. انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٣) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : الدكتور محمود حمدي زقزوق، ص ٢٥ ٠ محاضرات في مفهوم الاستشراق: الدكتور/ مُحَمَّد زين العابدين، ص ٥ ٠ أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي: المستشار/ علي مُحَمَّد جريشة ومُحَمَّد شريف الزيبق، دار الاعتصام (القاهرة)، ص ١٩ ٠ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: الدكتور مُحَمَّد البهي، الطبعة الحادية عشرة ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، مكتبة وهبة (القاهرة)، ص٤٢٩ ٠

الهجري السادس عشر الميلادي، وذلك بعد فترة الإصلاح الديني (١) التي ظهرت في أوربا، واتصل في ذلك الوقت الغرب المسيحي بالشرق الإسلامي اتصالاً اقتصادياً٠ وهذا ما أكده أحد العلماء بقوله: "إن تاريخ هذا الاستشراق قديم، يرجع إلى القرن السادس عشر الميلادي" (٢) ٠

ومن العلماء من يرى أن الاستشراق كعلم ودراسة مؤلفات الشرق الإسلامي بدأ في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته، فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق، ويُصْدِرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية، ويُغِيرون على المخطوطات في البلاد العربية والإسلامية، فيشترونها من أصحابها الجهلة، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوربا، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم (٣) ٠

وبعد هذا العرض لهذه الآراء، لا يمكن للباحث أن يجزم أن واحدا

(١) الإصلاح الديني: ظهر الإصلاح الديني في النصرانية بسبب شدة سلطان الكنيسة === === على الناس والعلماء، وفرض سلطانها على الملوك، واستبدادها بفهم الكتاب المقدس، فاعترض على ذلك مارتن لوثر (١٤٨٢ ـ ١٥٤٦م)، وزونجلي (١٤٨٤ ـ ١٥٣١م)، وكلفن (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤م)، وقامت حركات الإصلاح الديني معتمدة على نصوص الكتاب المقدس وحدها، وأنه ليس لرجال الدين حق الغفران ، واستحالة العشاء الرباني (تحول الخبز إلى جسد المسيح، والخمر إلى دمه)، وإنكار الرهبنة ٠ انظر: محاضرات في النصرانية : الإمام/ مُحَمَّد أبو زهرة ، ص ١٥٣ ـ ١٧٤ ٠

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية: الأستاذ/ أبو الحسن علي الحسيني الندوي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، مطبعة التقدم (القاهرة)، ص ١٧٩ ٠

(٣) انظر: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم: الدكتور/ مصطفى السباعي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، دار السلام (القاهرة)، ص ١٦ و ١٧ ٠

منها يُمثِّل البداية الحقيقية للاستشراق، وإنما يمكن التوفيق بينها بأن الاستشراق بدأ بجهود فردية غير منظمة مع انتشار دعوة الإسلام، وكانت الدوافع المحركة له بالدرجة الأولى دينية، هدفها الكيد للإسلام، ثم اتسع وتبلور بالدراسة والبحث مستفيدا من العلوم الإسلامية، وذلك في العصور الوسطى والحروب الصليبية، ثم وصل إلى جهود جماعية منظمة باجتماع العوامل المكوِّنة له في بداية القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي ٠

أو أن هذه الآراء وتلك المحاولات لا تتجه إلى تحديد سنة معينة لبداية الاستشراق، وإنما إلى تحديد فترة زمنية على وجه التقريب، يمكن أن تُعدَّ بداية للاستشراق ٠ أو أن تلك الآراء تندرج ضمن الأطوار التاريخية التي مرَّ بها الاستشراق، وهي بمثابة محطات في تلك الأطوار ٠

ب ـ الأطوار التاريخية للاستشراق:

لقد مر الاستشراق عبر تاريخه الطويل بعدة أطوار ، يمكن إجمالها فيما يلي :

١ ـ طور التكوين:

يبدأ هذا الطور في القرن الثامن الميلادي، عندما دخل المسلمون الأندلس، وأسسوا في هذه البلاد أسمى حضارة عرفتها البشرية، واتَّسم هذا الطور بما يلي:

ضعف الحياة العلمية في الغرب: كانت أوربا في العصور الوسطى تعيش في ظلام دامس، وتخلُّف لا مثيل له في شتى ميادين الحياة، فبينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغموراً بما تُشعه مدنه من أضواء المدنية والعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا في غياهب الجهل ٠

ولو أردنا دليلاً على مدى الهوة العميقة التي كانت تفصل الشرق عن الغرب، لكفانا أن نعرف أن نسبة ٩٥% من سكان الغرب في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر الميلادي، كانوا لا يستطيعون القراءة والكتابة، وفي الأديرة يندر

بين الكهنة ([1]) من يستطيع إمساك القلم، وبينما كان هذا يحدث في الغرب، كانت آلاف مؤلفة من المدارس في القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات في بلاد الشرق يتعلمون القراءة والكتابة ٠

نشأة الاستشراق في كنف الكنيسة: كان رجال الدين يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوربا، ولا سبيل لهم إلى إرساء نهضتها إلا على أساس من التراث الإنساني الذي تُمثِّله الثقافة العربية الإسلامية، فتعلَّموا العربية ثم اليونانية ثم اللغات الشرقية، وبرز الرهبان في نقل الثقافة الإسلامية إلى بلاد أوربا المختلفة، بفضل أساتذتهم المسلمين في أسبانيا ([2])، فكان اللاهوتيون أول من أقبل على دراسة الحضارة الإسلامية، فدرسوها من خلال مدارس المسلمين ومجامعهم، ثم قبعوا في أديرتهم يترجمون هذا التراث، ويذيعونه بين الرهبان وطلاب العلم ٠

ومن أهم هؤلاء المستشرقين الكنسيين "جرب دي أورالياك" (٩٣٨ ـ ١٠٠٣م)، الذي قصد الأندلس، وأخذ عن أساتذتها في مدارسها، حتى أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، وانتُخب حبرا أعظم

(١) الكاهن ـ الكهنوت: الكاهن هو خادم الدين أو الشخص المخصص لتأدية الخدمات الكهنوتية، التي تشمل الذبائح والقضاء على الدعاوى وتفسير الناموس للشعب، وكان كل الأفراد قبل النظام الموسوي يقدمون الذبائح (تك ٤: ٤)، ثم صار رؤساء البيوت والقبائل يمارسون الكهنوت (تك ٨: ٢٠، ١٢: ٨)، ولكن لما سُنَّ النظام الجديد عين موسى عليه السلام رتبة الكهنوت في ذرية هارون (خر ٢٨ ، ٢ أخبار ٢٦: ١٨)، وكان كل ذكر من ذرية هارون كاهنا بشرط ألا يكون فيه أي عيب أو تشويه جسدي، وكانت تُفرض على الكاهن في حياته ومعيشته قوانين لم تكن تفرض على غيره من اللاويين أو عوام الشعب٠ انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير بطرس عبد الملك وآخرون، الطبعة التاسعة، دار الثقافة (القاهرة)، ص ٧٩١ ٠ الموسوعة الميسرة : الدكتور/ مانع بن حماد، ج ٢ ص ١١٣٦ ٠

(٢) أسبانيا: مملكة أسبانيا هي دولة عضو في الاتحاد الأوربي ، تقع في جنوب غرب أوربا، يحد برها الرئيسي من الجنوب والشرق البحر الأبيض المتوسط، ويحدها من الشمال فرنسا وأندورا وخليج بسكاي، ويحدها من الغرب والشمال الغربي المحيط الأطلسي === === والبرتغال٠ انظر: التلمود دراسة تأصيلية (ماجستير): محمود عبد الله علي عبد الحميد، ٢٠١٥ م، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ـ قسم الأديان والمذاهب، ص ١٤٥ ٠

باسم "سلفستر الثاني" (٩٩٩ . ١٠٠٣م)، فكان أول بابا فرنسي، وقد أمر بإنشاء مدرستين عربيتين، الأولى في روما (١) مقر خلافته، والأخرى في دايمس (وطنه)، وتَرجم بعض الكتب الرياضية والفلكية ٠

الحقد الأعمى على الإسلام: التعصب المسيحي والحقد الأعمى على الإسلام بوجه عام صاحب العالم الغربي آنذاك، رغم الأيادي البيضاء للإسلام عليه، فلقد كان موقف الغرب المسيحي في هذا الطور من الإسلام هو موقف الدفع والمشاحنة ٠ وقد عمد عدد من رجال الدين في هذه الفترة إلى التعلم للرد على المسلمين، وتشويه الإسلام بنشر الافتراءات والأكاذيب حوله، وزعموا فيما زعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة، وأن محمداً ﷺ ليس إلا صنماً أو إله قبيلة أو شيطاناً، وغزت الأساطير الشعبية والخرافات خيال الكُتَّاب اللاتينيين ٠

وفي مقابل تلك الصورة البغيضة للإسلام، كانت هناك جهود أخرى للوصول إلى معرفةٍ موضوعيةٍ في مجال العلوم العربية مثل الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية، وكان لرئيس أساقفة طليطلة وغيره الفضل في إخراج ترجمات مبكرة لبعض الكتب العلمية العربية، وهذه الحركة التي قامت في أوربا لترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية تشبه تلك الحركة التي قامت في العالم الإسلامي في عهد المأمون(٢) ومن سبقه لترجمة العلوم اليونانية وغيرها إلى

(١) روما: الرواية التاريخية التي تناقلها مؤرخو الرومان القدامى، تتلخص في أن مدينة روما قد تأسست سنة ٧٥٤ ق٠م ، وقد تم ذلك عن طريق زواج "مارس" إله الحرب من الكاهنة " سيلفيا"، التي أنجبت توأمين نتيجة ذلك الزواج "روميلوس" و "ديموس"، وقد حملت المدينة اسم الأول منهما بعد قتله الآخر، وعدد الملوك الذين حكموا مدينة روما بعد موت "روميلوس" ستة ملوك، وانتهاء النظام الملكي كان سنة ٥٠٩ ق٠م ٠ انظر: شريعة الرومان : البيئة ٠ المصدر ٠ المآل : فتحي المرصفاوي، دار النهضة العربية (القاهرة)، ص ١٢ و ١٣ ٠

(٢) المأمون: هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس، ولد عام ١٧٠هـ ٧٨٦م، وتوفي غازيا في 19 رجب عام218 هـ 10أغسطس سنة 833 بطرسوس، شهد عهده ازدهاراً بالنهضة العلمية والفكرية وذلك لأنه شارك فيها بنفسه، وتفرد عهد المأمون بتشجيع مطلق للعلوم من فلسفة وطب ورياضيات وفلك واهتمام خاص بعلوم اليونان،

العربية. وقد كانت هناك بعض المحاولات للتعرف على الإسلام بقدرٍ من الموضوعية، ومما يؤكد هذا أنه كان يوجد اعتراف من بعض المستشرقين بأن الإسلام ترك للنصارى وغيرهم حرية الدين، بل إن المسلمين الفاتحين استعانوا باليهود فولَّوهم كبرى المدن، وفرض التسامحُ الإسلامي وجوده في البلاد المفتوحة، ومنح المواطنين في تلك البلاد حرية وثقافة لم ينالوا مثلها من قبل.

ويمكن القول بصفة عامة بأنه قد كان هناك في هذه الفترة المبكرة للاستشراق اتجاهان مختلفان فيما يتعلق بالأهداف والمواقف إزاء الإسلام: الاتجاه الأول كان اتجاهاً لاهوتياً متطرفاً، ناظراً إلى الإسلام من خلال ضباب كثيف من الخرافات والأساطير الشعبية، أما الاتجاه الثاني فقد كان ـ نسبياً بالمقارنة إلى الاتجاه الأول ـ أقرب إلى الموضوعية والعلمية، ونظر إلى الإسلام بوصفه مهد العلوم الطبيعية والطب والفلسفة، ولكن الاتجاه اللاهوتي الخرافي ظل حيا حتى القرن السابع عشر وما بعده، ولا يزال حيا في العصر الحاضر في كتابات بعض المستشرقين عن الإسلام ونبيه ﷺ (١) .

٢ ـ طور التقدم:

تبدأ هذه الفترة منذ نهاية الحروب الصليبية(٢) (١٠٩٦ ـ ١٢٩١م)

وقد أسس الخليفة عام830 م جامعة بيت الحكمة في بغداد والتي كانت من كبريات جامعات عصرها، وقد تكون عمليات الترجمة التي رعاها أبرز سمات عهده، إذ نُقلت خلالها العلوم والآداب السريانية والفارسية واليونانية إلى العربية . انظر: الموسوعة الحرة .

(١) انظر : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : الدكتور/ محمود حمدي زقزوق، ص ٢٩ ـ ٣٣ . الاستشراق بين الجحود والإنصاف: الدكتور/ عبد الله سمك، ص ١٣ و١٤ . نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر عبد اللطيف، ص ١٧ ـ ٢٠ .

(٢) الحروب الصليبية: هي مرحلة من مراحل عدوان الغرب النصراني على الشرق الإسلامي، ولها دوافع سبقتها، وآثار أعقبتها، فلقد ضاق الغرب المسيحي بوجود الإسلام وانتشاره في بلاده ، فعمل على إخراجه، وسقطت المدن الأندلسية في أيدي الصليبيين الواحدة تلو الأخرى، ونجح الأوربيون في القضاء على الإسلام في أوربا، ولم يكتفوا بذلك، بل علت الأصوات في الغرب لاقتحام قلب العالم الإسلامي والاستيلاء على بيت المقدس، وكانت الحملات الصليبية والتي استمرت من القرن الخامس إلى القرن السابع الهجري (نهاية الحادي عشر إلى الثالث

حتى القرن السادس عشر الميلادي. فلقد بذلت الكنيسة في أوربا كل ما استطاعت من جهود في سبيل الحيلولة بين الأوربيين والوقوف على تعاليم الإسلام وآدابه، ولما لم تتمكن من مقاومة المد الإسلامي فكرياً وحضارياً، حرَّضت على حملات مسلحة تَعْبُر البحر المتوسط لمهاجمة المسلمين في الشرق تحت ستار حماية الصليب وإنقاذ القبر المقدس من أيدي البرابرة المتوحشين (المسلمين)، ووعدهم بابا الكنيسة بأن تكون رحلتهم إلى الشرق بمثابة غفران كامل لذنوبهم، وارتكب الصليبيون في حملاتهم من الجرائم ما لا يصدقه عقل، إذ قُتل نحو سبعين ألفا من المسلمين في المسجد الأقصى، حتى خاضت الخيل في دماء الشهداء، فكانوا من أشد الوحوش حماقة، وكانوا لا يُفرِّقون بين المحاربين والأهليين العُزَّل من الشيوخ والنساء والأطفال، ومكث الصليبيون في أرض الإسلام نحو مائتي عام، وتَمكَّن صلاح الدين الأيوبي (١) أن يُوحِّد بين المسلمين، وأن يهزم هؤلاء البغاة في موقعة حطين(٢) سنة ٥٨٣هـ،

عشر الميلادي)، وانتهت بهزيمة تلك الحملات هزيمة منكرة، فحول الغرب تلك الحروب العسكرية إلى حرب فكرية، تهدف إلى تشكيك المسلمين في دينهم، ومحاولة جذبهم إلى المسيحية، وكان الاستشراق والتبشير في القلب من هذه الحرب وجناحيها. انظر: محاضرات في مفهوم التبشير: الدكتور/ محمد زين العابدين الطشو، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م ص ٦١ ـ ٧٧ .

(١) صلاح الدين الأيوبي : هو صلاح الدين بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان الكردي، فهو ينتمي إلى عائلة كردية، كريمة الأصل، عظيمة الشرف، هذه العائلة ملكت مصر والشام وعُرفت باسم الدولة الأيوبية، وتنتهي جذور هذه العائلة إلى قبيلة كردية تُعدُّ من أشرف الأكراد نسبا وعشيرة، هذه القبيلة تعرف بالرَّوادية، من أكبر القبائل الكردية، وُلد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٣٢هـ ، في قلعة تكريت تلك البلدة القديمة القريبة إلى بغداد، وتوفي سنة ٥٨٩ هـ. انظر: صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين: الدكتور/ عبد الله ناصح علوان، الطبعة السابعة ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (القاهرة)، ١٧ و ١٨ و ٩٩ .

(٢) موقعة حطين: أخذ السلطان صلاح الدين الأيوبي يُعدُّ العدة ويجمع الجيوش، لمواجهة الصليبيين واسترداد أرض الإسراء، وعقد مجلس شوراه للتشاور في منازلة العدو، واتفقوا على الخروج في ١٧ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ بعد صلاة الجمعة، وحشد الصليبيون جموعهم وتوجهوا إلى طبرية، وتقابل الفريقان في مكان اسمه حطين، وبعد معارك ضارية بين === === الطرفين انتصر فيها صلاح الدين انتصاراً حاسماً، وانهزم الصليبيون هزيمة منكرة ،

وكانت هذه الهزيمة بداية نهايتهم وطردهم من ديار الإسلام ٠

وتُعدُّ نهاية الحملات الصليبية بداية مرحلة جديدة للفكر الاستشراقي، وذلك أن لويس التاسع (١) بعد هزيمته في المنصورة (٢) ووقوعه في الأسر، رسم الخطة الجديدة التي تُمكِّنهم من مواجهة الإسلام، وتقوم هذه الخطة على: تحويل المواجهة العسكرية إلى مواجهة فكرية، تستهدف الدسَّ بين المسلمين، وإثارة الخلافات، وإذكاء نارها بين الأوساط الإسلامية، وتجنيد المبشرين الغربيين لمحاربة تعاليم الإسلام، ووقف انتشاره، والقضاء عليه معنوياً، واستخدام من يمكن إغراؤهم من مسيحي الشرق في تنفيذ سياسة الغرب ٠

ومنذ ذلك الوقت الذي فُرضت فيه هذه الخطة على عالمنا الإسلامي والصراعُ على أشده، مما جعل البعض يؤكد على أن تلك الحروب الصليبية كانت البداية للغزو الاستشراقي، وأدت إلى انتعاشه، خلال الاتصال الحضاري

وبلغ عدد قتلاهم عشرة آلاف، ودخل عكا في جمادى الأولى سنة ٥٨٣هـ، ثم حاصر بيت المقدس، ولم يمض أسبوع واحد حتى استسلمت القدس، ورضي الصليبيون بالصلح، وكان ذلك في شهر رجب سنة ٥٨٣هـ٠ انظر: المرجع السابق، ص ٧٠ ـ ٧٦ ٠

(١) لويس التاسع: لويس التاسع أو لويس القديس كان ملك فرنسا، وهو ابن لويس الثامن. استلم لويس التاسع مقاليد الحكم بعد أن بلغ سن الرشد، وهو الذي قام بقيادة الحملة الصليبية السابعة عام1248 ، حتى يأخذ بيت المقدس من أيدي سلاطين مصر، وكانت وجهته الأولى دمياط في مصر واحتلها عام 1249 ، إلا أنه هُزم ثم أُسر في أولى مواجهاته بالمنصورة عام.1250 وبعد أن افتدى نفسه من الأسر، استقر في الشام لمدة أربع سنوات1254–1250 ، ليعود بعدها إلى فرنسا حيث قام بإعادة تنظيم أجهزة الدولة ووطد دعائم السلطة الملكية، وهو الملك الفرنسي الوحيد الذي رضع رضاعة طبيعية. انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٢) المنصورة: مدينة مصرية، عاصمة محافظة الدقهلية، وكذلك عاصمة مركز المنصورة٠ تقع المنصورة على الضفة الشرقية لنهر النيل – فرع دمياط ـ ويقابلها على الضفة الغربية مدينة طلخا . وتبعد ١٢٠ كم إلى شمال شرق القاهرة. أنشأها الملك الكامل مُحَمَّد بن الملك العادل من ملوك الدولة الأيوبية عام616 هـ .1219 م 0وكان يطلق عليها اسم "جزيرة الورد" لأنها كانت محاطة بالمياه من ثلاث جهات وكانت بها أكبر حدائق ورد في مصر. وقد سميت بالمنصورة بعد النصر في معركة المنصورة الذي حققه الشعب المصري على الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع الفرنسي. انظر : الموسوعة الحرة ٠

الواسع بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني، بغية تحطيم الإسلام من داخله بالدس والكيد والتشويه ، فلقد أدى الفشل الذريع الذي مُنيت به هذه الحروب إلى ازدياد روح التعصب ضد الإسلام والمسلمين، فبدأ الجاحدون للإسلام يتعلمون اللغة العربية لا حبا فيها، ولكن ليتخذوها وسيلة إلى فهم القرآن، وسلاحاً في مناقشته والهجوم على الإسلام وتشويه صورته، فعمل الصليبيون العائدون من الشرق على إظهار الإسلام بصورة مزرية، لذلك وجدنا شاعراً مسيحياً هو "دانتي" (١٢٦٥ . ١٣٢١م) يُمثِّل التعصب المسيحي على الإسلام وعلى رسوله ﷺ في عمله الشهير "الكوميديا الإلهية"، حيث يعتبر الإسلام كفراً وهرطقة، ويصور الرسول ﷺ في صورة بلغت من القبح درجة يعف اللسان عن ذكرها ٠

وتميز طور التقدم هذا بعدة سمات، أهمها:

زيادة سلطة البابوات ورجال الدين: لقد كان البابا ذا نفوذ على الملوك، فلا يجلسون على عروشهم إلا بإذن البابا ومباركته، وإذا غضب البابا عليهم غضباً شخصياً نبذتهم شعوبهم ولم تُذعن لأوامرهم٠ وأما نفوذ رجال الدين المسيحي على الشعوب، فيتلخص في أن الفرد لا يصبح مسيحياً إلا بتعميد الكاهن، وليس له صلاة إلا بحضوره في الكنيسة، ولا يموت موتا صحيحا إلا بإقامة قُدَّاس الجنازة على يد كاهن ٠

وكانت زيادة سلطة البابوات وفساد رجال الدين الأخلاقي والمالي . مع احتكاك الغربيين بالمسلمين إبان الحروب الصليبية . عاملاً من أهم العوامل التي أدت إلى نهضة أوروبا، في الوقت الذي زاد فيه التعصب المسيحي ضد الإسلام وأهله، رغم ما جناه الغرب من فوائد علمية واقتصادية وسياسية واجتماعية من الشرق الإسلامي ٠

إنشاء كراسي للغات الشرقية والاهتمام بالترجمة: أمر البابا "إكليمنص الخامس" (١٣٠٥ . ١٣١٤م) في مجمع فيينا (١٣١١ . ١٣١٢م) بإنشاء

كراسي للعبرية والعربية والسريانية في جامعات روما على نفقة الفاتيكان (١)، وباريس على نفقة ملك فرنسا (٢)، وأكسفورد (٣) على نفقة ملك انجلترا (٤) ٠

(١) الفاتيكان: دولة مدينة الفاتيكان، هي أصغر دولة من حيث المساحة والسكان في العالم، وتقع في قلب مدينة روما عاصمة إيطاليا التي تحيط بها من جميع الاتجاهات ويفصلها عنها أسوار خاصة ٠ وبرغم كونها أصغر دول العالم مساحةً وسكانا فهي تستقي دورها وأهميتها من كونها مركز القيادة الروحية للكنيسة الكاثوليكية في العالم والتي يربو عدد أتباعها على ١.١٤٧ مليار نسمة، كذلك من كونها تحفظ في متاحفها وأرشيفها مجموعة من أرقى المنتجات الفنية للجنس البشري على مر العصور، وأُدرجت الفاتيكان على لائحة اليونيسكو كأحد مواقع التراث العالمي، وممثلة لدى عديد من المنظمات الدولية كالأمم المتحدة وعدد من وكالاتها، إلى جانب منظمات أخرى غير رسمية ٠ والفاتيكان دولة يديرها الإكليروس، ويرأس هؤلاء البابا أسقف روما المنتخب من قبل مجمع الكرادلة متمتعًا بصلاحيات غير محدودة مدى الحياة ٠ انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٢) فرنسا: جمهورية دستورية ذات نظام مركزي وبرلماني ذي نزعة رئاسية، ويبلغ === === عدد سكانها حوالي ٦٦ مليون نسمة، وهي تقع في أوروبا الغربية٠ عاصمتها باريس، ولغتها الرسمية هي الفرنسية، وعملتها اليورو٠ فرنسا بلد قديم يعود تكوينه للعصور الوسطى، وتعتبر إحدى المناطق المهمة في أوروبا منذ العصور الوسطى، وقد وصلت فرنسا إلى أوج قوتها خلال القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠، إذ امتلكت ثاني أكبر إمبراطورية استعمارية في سنة 1950. وهي إحدى الدول المؤسسة للاتحاد الأوروبي، وأحد الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن الدولي، كما أنها عضو في العديد من المؤسسات الدولية ٠ انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٣) أكسفورد: مدينة تقع في انجلترا، وعدد سكانها ١٤٥١٠٠ نسمة (إحصائية2004 ، وبها تقع جامعة أكسفورد، أعرق جامعات البلدان الناطقة بالإنكليزية. وهي مدينة صغيرة المساحة بالنسبة لتعداد سكانها وتحتفظ بمساحات خضراء عديدة، ولديها قاعدة اقتصادية متنوعة، ومن الأنشطة ذات الأهمية فيها صناعة السيارات، والتعليم بكل مراحله، بجانب جامعتين يتوافد إليهما الطلاب لحضور دورات صيفية لتعلم الإنجليزية لغة ثانية٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٤) انجلترا: هي أكبر دولة في المملكة المتحدة، وتشترك في الحدود البرية مع اسكتلندا في الشمال وويلز في الغرب والبحر الأيرلندي في الشمال الغربي وبحر الكلت في الجنوب الغربي وبحر الشمال في الشرق، وتفصلها القناة الإنجليزية عن القارة الأوروبية جنوبًا. وتشتمل على أكثر من ١٠٠ جزيرة صغيرة ٠ عاصمة إنجلترا هي لندن، وهي أكبر منطقة مدنية في المملكة المتحدة، وأكبر منطقة حضرية في الاتحاد الأوروبي بكل المقاييس0 يصل عدد سكان إنجلترا إلى حوالي ٥١ مليون نسمة، وهم يُشكِّلون حوالي ٨٤% من

ولقد بدأت الترجمة من العربية إلى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر الميلادي، حيث قام بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية العالم الإنجليزي "روبرت أوف كيتون" سنة ١١٤٣م ٠ وفي نهاية الحروب الصليبية نشطت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، ففي عام ١٢٦٩م أمر "الفونس" ـ ملك قتشالة ـ بإنشاء معهد للدراسات العليا في مرسليا (١)، واختار له أعلامَ اليهود والنصارى (٢) والمسلمين، وعهد إليهم بالترجمة والتصنيف، وكان يشرف بنفسه على التوجيه والتحرير والتلخيص، فترجم إلى الأسبانية التلمود (٣)

سكان المملكة المتحدة بشكل عام ٠ انظر: الموسوعة الحرة ٠

(١) مرسليا: ثاني أكبر مدن فرنسا بعد العاصمة باريس، حيث يبلغ عدد سكانها أكثر من ٨٥٠,٠٠٠ نسمة ضمن نطاقها الإداري فقط، ويزيد عدد سكان منطقة مارسيليا الكبرى عن ١.٧ مليون نسمة، وتقع مارسيليا على ساحل فرنسا الجنوبي المطل على البحر الأبيض المتوسط، ويُعدُّ ميناء مارسيليا أكبر موانئ فرنسا التجارية. اختيرت مارسيليا عاصمة للثقافة الأوروبية لعام ٢٠١٣. وتشتهر المدينة بوجود جالية عربية وإسلامية كبيرة، ويرى الباحثون أن مارسيليا يمكن أن تصبح أول مدينة ذات أغلبية مسلمة في أوروبا الغربية٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٢) النصارى: القوم الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام وكتابهم الإنجيل، والنصرانية هي الملة التي يزعم أهلها أنها الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام، نسبة إلى بلدة الناصرة من أرض الجليل بفلسطين، موطن عيسى عليه السلام، والمكان الذي ولد فيه ، وابتدأ فيه دعوته ٠ انظر : الملة والنحلة في اليهودية ٠ المسيحية ٠ الإسلام: الدكتور/ حمدي عبد العال، الطبعة الأولى، دار القلم للنشر والتوزيع (الكويت)، ص ٨٠ ٠ العلاقة بين الدين والدولة في اليهودية والنصرانية والإسلام (دكتوراه): الدكتور/ ماجد عبد السلام إبراهيم ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ـ قسم الأديان والمذاهب، ص ٣١٧ و ٣١٩ ٠ دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية: الدكتور/ سعود بن عبد العزيز الخلف، ص ١٠٣ ٠

(٣) التلمود: كلمة تلمود مشتقة من كلمة "لامود" العبرية، التي تعني الدراسة والتعليم، فهو الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية، وهو كتاب فقهي يشمل كل ما يمكن للإنسان اليهودي أن يسأل عنه من شريعة دينه ٠ انظر: فضح التلمود : تعاليم الحاخامين السرية: الأب آ ٠ بي ٠ برانايتس، إعداد: زهدي الفاتح، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت)، ص ٢١ ٠ اليهودية: الدكتور/ محمد بحر === === عبد المجيد، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، مركز الدراسات الشرقية (جامعة القاهرة)، سلسلة الدراسات العربية والتاريخية، العدد: ٢٠، ص ١٢١ ٠

والإنجيل ([1]) والقرآن ٠

تنوُّع الدراسات الاستشراقية: تعاظم دور الاستشراق، ونمت جهود المستشرقين في الفترة التي تلت الحروب الصليبية، وظهر التخصص من جانب المستشرقين في مدارس الثقافة الإسلامية، يعضهم ركَّز اهتمامه في الدراسات العربية الإسلامية التي تتناول العقيدة والشريعة، وبعضهم تخصص في دراسة العلوم عند العرب والتاريخ الإسلامي، وآخرون اهتموا بالدراسات الأدبية واللغوية، وغيرهم شُغل بدراسة الفنون والآثار العربية والإسلامية، وكثير من المستشرقين ولَّوا وجوههم شطر التراث الفلسفي العربي والإسلامي في مجالاته المتعددة وأعلامه في كل مجال، وقصد كل هؤلاء تنويع جهودهم، كلٌّ في تخصصه ([2]) ٠

٣ ـ طور الانطلاق:

أخذ الاستشراق في الانطلاق بعد ظهور الطباعة العربية في القرن السادس عشر الميلادي، وأصبح في وسع الطباعة العربية في أوربا أن تستعين بالمطبعة التي أنشئت سنة ١٥٨٦م، ومنذ ذلك الحين خطا الاستشراق خطوة جديدة نحو الانطلاق ، فانتشرت المدارس لتعليم العربية في أوربا كلها،

(١) الإنجيل: كلمة يونانية معناها "الحلوان"، وهو ما تعطيه من أتاك ببشرى، ثم أريد بالبشرى الكلمة عينها، وما لبثت هذه الكلمة أن استُعملت بمعنى الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى ٠ انظر : المسيحية: الدكتور/ أحمد شلبي، الطبعة العاشرة، ٢٠٠٠م، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة)، ص ٢١٥ ٠ أديان ومذاهب معاصرة: الدكتور/ عبد العزيز تمام يوسف، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، مكتبة المنار الإسلامية (الكويت)، ص ٢٢ ٠

(٢) انظر: محاضرات في مفهوم الاستشراق: الدكتور/ مُحَمَّد زين العابدين، ص ٣ و ٤ ٠ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٤١ ٠ الاستشراق بين الجحود والإنصاف: الدكتور/ عبد الله سمك، ص ١٥ ـ ١٨ ٠ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : الدكتور محمود حمدي زقزوق ، ص ٣١ ٠ نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر عبد اللطيف، ص ٢٠ ـ ٢٣ ٠ الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه: الدكتور مُحَمَّد الدسوقي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥ م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع (المنصورة)، ص ٢٧ وما بعدها ٠

وأقيمت المطابع لإصدار نفائس العرب، وأخذ العلماء والرهبان يتسابقون في دراستها ٠

وفي القرن السابع عشر الميلادي اهتم أباطرة الغرب بالمخطوطات الإسلامية والعربية، فلم يألوا جهدا في اقتنائها ثم طبعها على نفقتهم وبإشراف علمائهم، وتم كذلك إنشاء كرسيين للغة العربية أحدهما في كمبردج (١) سنة ١٦٣٢م، والآخر في أكسفورد سنة ١٦٣٦م ٠

وفي نهاية القرن الثامن عشر الميلادي تأثرت حركة الاستشراق تأثراً كبيراً بالحملة الفرنسية على مصر (٢) (١٧٩٨ ـ ١٨٠١م) والتي قادها نابليون بونابرت (٣) (١٧٦٩ ـ ١٨٢١م)، وقد رافقت هذه الحملة بعثةٌ مجهزة بعلماء في كل ضرب

(١) كمبردج: مدينة تقع في شرق انجلترا، ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٠٨,٨٦٣ نسمة، وتشتهر بجامعاتها، ومنها جامعة كامبريدج التي تعد إحدى أعرق وأفضل الجامعات على مستوى العالم. ويوجد بها جامع متوسط الحجم اسمه «مسجد أبي بكر»، وبها أيضاً مركز لتدريب الأئمة المسلمين أسسه ويديره عبد الحكيم مراد. انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٢) مِصْرَ: جُمهورِيةُ مِصرَ العَرَبيةِ هي دولة عربية تقع في الركن الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا، ولديها امتداد آسيوي، حيث تقع شبه جزيرة سيناء داخل قارة آسيا، فهي دولة عابرة للقارات. ويحدها من الشمال البحر المتوسط، ويحدها شرقا البحر الأحمر، ويحدها في الشمال الشرقي منطقة فلسطين، ويحدها من الغرب ليبيا ،كما يحدها جنوبا السودان ٠ تشتهر مصر بأن بها إحدى أقدم الحضارات على وجه الأرض حيث بدأ البشر بالنزوح إلى ضفاف النيل والاستقرار منذ نحو ١٠,٠٠٠ سنة، تعد اللغة العربية والإسلام هما اللغة والديانة === === الرسمية، ونظام الحكم فيها جمهوري ديمقراطي، وتُعدُّ مصر من الأعضاء المؤسسين لجامعة الدول العربية ويوجد بها المقر الرئيسي لها، كذلك تُعدُّ من الأعضاء المؤسسين للأمم المتحدة حيث انضمت لها عام ١٩٤٥، بالإضافة إلى عضويتها بالاتحاد الأفريقي ٠ انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٣) نابليون بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١): هو نابليون الأول ابن كارلو وليتسيا بونابرت، إمبراطور الفرنسيين، وضع خطة لضرب الإنجليز في الشرق باحتلال مصر، فجاء في حملة نزلت بمصر سنة ١٧٩٨، وسحق المماليك، و لكن الإنجليز أغرقوا أسطوله في أبي قير، وخرج نابليون في حملة إلى سوريا سنة ١٧٩٩، ولكنها أخفقت أمام حصون عكا المنيفة، وفي سنة ١٨١٥ نُفي إلى جزيرة سنت هيلانه، حيث قضى سنوات النفي المرير يُملي مذكراته، ومات بداء السرطان في ٥ مايو سنة ١٨٢١ ٠ انظر: الموسوعة العربية الميسرة: مجموعة من العلماء والخبراء والمديرين بإشراف مُحَمَّد شفيق غربال، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩ م، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ـ المكتبة العصرية (صيدا ـ بيروت)، ص ٣٣٣٩ و ٣٣٤٠ ٠

من ضروب ثقافة ذلك العصر، منهم الأثريون والمهندسون والأطباء والمؤرخون والمستشرقون والمترجمون، وقد أمر نابليون بتأليف المجمع العلمي المصري، وتأسيس مطبعة عربية تطبع تصريحاته ومنشوراته، كما عمل على إصدار ثلاث صحف منها واحدة بالعربية، وقد أدى كل ذلك إلى توسيع دائرة الاستشراق، وعناية البلدان الأوربية بآداب العرب وثقافتهم وخاصة الدول المتنازعة على العالم العربي ٠

وفي القرن التاسع عشر الميلادي وفي حكم محمد علي ([1]) (١٨٠٥ ـ ١٨٤٧ م) توافد عدد كبير من المستشرقين لبناء دولة عصرية في مصر، كما أوفد محمد علي بعثات إلى أوربا في مختلف المجالات للغرض نفسه٠

وفي نهاية هذا القرن رغب علماء أوربا المهتمون بأحوال الشرق أن يجتمعوا حيناً بعد حين في مؤتمر شرقي عام لتبادل الأفكار، وانعقد أول مؤتمر في مدينة باريس سنة ١٨٧٣م بحضور مستشرقي أوربا، وبعد ذلك تتابعت هذه المؤتمرات الدولية، ويضم المؤتمر مئات من أعلام المستشرقين، ويعقد مرة كل أربع أو ثلاث سنوات أو سنتين ([2])٠

٤ ـ طور الازدهار:

يُعدُّ القرن العشرون عصر الازدهار الحقيقي للاستشراق ، وخاصة بعد استغلال الاستعمار للاستشراق على أوسع نطاق إبان الاحتلال الغربي للشرق ٠

(١) مُحَمَّد علي: مُحَمَّد علي باشا المسعود بن إبراهيم آغا القوللي، الملقب بالعزيز أو عزيز مصر، مؤسس الأسرة العلوية وحاكم مصر ما بين عامي 1805 إلى1848 ، ويشيع وصفه بأنه "مؤسس مصر الحديثة ، لأنه استطاع خلال فترة حكمه أن ينهض بمصر عسكريًا وتعليميًا وصناعيًا وزراعيًا وتجاريًا، مما جعل من مصر دولة ذات ثقل في تلك الفترة، إلا === === أن حالتها تلك لم تستمر بسبب ضعف خلفائه وتفريطهم في ما حققه من مكاسب بالتدريج إلى أن سقطت دولته في 18يونيو سنة 1953 م، بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية في مصر. انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٢) انظر: المستشرقون والتاريخ الإسلامي: علي الخربوطلي، ص ٧٤ ٠ الاستشراق بين الجحود والإنصاف: الدكتور/ عبد الله سمك، ص ١٨ ـ ٢٠ ٠ نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر عبد اللطيف، ص ٢٣ ـ ٢٦ ٠

فلقد سيطرت بريطانيا وفرنسا على الشرق والاستشراق حتى الحرب العالمية الثانية، وبعد تلك الحرب وفي النصف الثاني من القرن العشرين هيمنت الولايات المتحدة الأمريكية على الشرق، وحل نفوذها السياسي والثقافي محل النفوذ البريطاني والفرنسي، وأصبح لها الدور الأكبر في حركة الاستشراق٠ ولليهود دور خطير في هذه الحركة، حيث تقوم وسائل الإعلام الصهيونية في الغرب خاصة في الولايات المتحدة برسم صورة مشرقة لإسرائيل (١)، وكأنها دولة ديمقراطية في محيط برابرة في الشرق الأوسط ٠

وفي هذه الفترة تحرر الاستشراق من سيطرة الكنيسة، وظهر الاستشراق كعِلْم متكامل قائم على دراسة آثار الحضارة الشرقية المادية والروحية، وتوارِيْ الاستشراق الكلاسيكي (التقليدي) لا يعني أن هناك حيدة علمية أو تغييرا جوهريا في المضمون، فالاحتمال القليل أن يكتب المستشرقون الجدد عن الشرق دون الرجوع إلى ما كتبه المستشرقون السابقون، الذين لا تخلو كتاباتهم من حقد على الإسلام ٠

وتهتم الدول الغربية في العصر الحاضر بالدراسات الاستشراقية في جامعاتها ومعاهدها، ويَلقى هذا المجال اهتماما كبيرا من أمراء وملوك الغرب، ويحظى الباحثون في مجال الاستشراق بالدعم الكبير من جانب الحكومات الغربية ٠ وتركز الدراسات الاستشراقية المعاصرة على أن الفقر والأزمات الاقتصادية في البلاد المسلمة إنما تعود إلى جمود الإسلام، وأن على المسلمين أن يستفيدوا من التشريعات الغربية في الأنظمة السياسية والمالية والاجتماعية ٠ وكَثُرتْ الدراسات الاستشراقية الأكاديمية في الدول الغربية في

(١) إسرائيل: اسم أطلق على الأسباط الاثني عشر، والأرض التي سكنتها، أو على الأسباط الشمالية وأراضيها بعد الانشقاق، وقد أُطلق هذا الاسم في الكتاب المقدس على يعقوب (تك ٣٢ : ٢٨)، ونسل يعقوب جميعاً، وقد بدأ بتسمية نسل يعقوب "إسرائيل" وهو بعد حي (تك ٣٤: ٧)٠ انظر: أطلس الكتاب المقدس: حرره الأستاذ هـ ٠ هـ ٠ رولي، ١٩٨٣م، دار النشر المعمدانية (بيروت)، ص ١١ ٠

أواخر القرن العشرين، والتي تحذر من خطر عودة المسلمين إلى دينهم٠ كما تناولت أوضاع غير المسلمين (أهل الذمة) في البلاد الإسلامية، وتهدف من وراء ذلك إلى التدخل السافر للدول الغربية في شئون البلاد الإسلامية تحت دعوى حماية حقوق الأقليات (١) ٠

والخلاصة أن الحركة الاستشراقية مرت عبر تاريخها الطويل بأطوار، بداية بطور التكوين والولادة، وتوسطا يطور التقدم والانطلاق، وختاما بطور التألق والازدهار ٠

ثالثاً: أسباب الاستشراق:

ما الذي يدعو الباحث الغربي إلى بذل كل هذا الجهد والعمر والمال في دراسة عالم غريب عنه؟ يدرس لغاته التي تختلف تماماً عن لغته، ويحاول جاهداً فهم آدابها وعقائد أهلها وتاريخهم٠ من المؤكد أنه لم يبذل المستشرقون جهودهم المضنية من أجل سواد عيون الشرق أو حبا فيه أو دفاعا عنه، وإنما بذلوا تلك الجهود لأسباب معينة، أهمها :

١ . الكراهية للإسلام: كشف القرآن الكريم عن هذه الكراهية التي يُكنُّها أهل الكتاب والمشركون على الإسلام وأهله منذ بزوغ فجر الإسلام، قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَن

(١) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: الدكتور/ محمود حمدي زقزوق، ص ٤٧ . ٥٠ ٠ الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية: رودي بارت ، ص ١٢ و ١٣ ٠ الاستشراق بين الجحود والإنصاف: الدكتور/ عبد الله سمك ، ص ٢٠ و ٢١ ٠ نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر عبد اللطيف، ص ٢٥ . ٣٥ ٠

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٥ ٠

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٩ ٠

تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾(١) ٠ فلقد اتفق أهل الكتاب مع المشركين على أنهم لا يحبون الخير للمسلمين، وانفرد أهل الكتاب بأنهم يودون ردة المسلمين، وأنهم لن يرضوا عن رسول الله ﷺ حتى يتبع ملتهم، وهذا أمر مستحيل، ويترتب عليه أن رضاءهم غاية لن تدرك٠ والمشركون نفَّسوا عن هذه الكراهية حين حاولوا القضاء على صاحب الدعوة وهو في مكة (٢)، ولما هاجر ﷺ إلى المدينة بدأ التشكيك وإثارة الشبهات حول الدعوة نفسها من جانب اليهود، وحين بسط الإسلام نفوذه في بلاد الأندلس عمد أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى دراسة الإسلام بقصد الطعن فيه ٠

٢. التنفيس عن الحروب الصليبية ومواجهة حركة إصلاح المسيحية: تركت هزيمة الغربيين في الحروب الصليبية آثارا مرة عميقة في نفوس الأوربيين، فأرادوا أن يُنفِّسوا عن هذه الهزيمة النكراء باختراع هذا السلاح (الاستشراق)، فاستبدلوا بالسلاح العسكري سلاحا فكريا ينصبُّ في إطار تشويه الإسلام، بعد أن أيقنوا أن السلاح العسكري لن يجدي مع المسلمين ٠

ومن جهة أخرى لعبت الحروب الصليبية دوراً في حمل بعض الغربيين على إعادة النظر في أمور دينية لا تمت إلى المسيحية الصحيحة بصلة، مثل صكوك الغفران، والادعاء بأنه لا اتصال بين الإنسان وربه إلا بواسطة الكنيسة وحدها، وقد عُرفت هذه الحركة باسم "الإصلاح الديني"، التي تبناها

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٠ ٠

(٢) مكة: مكة المكرمة هي مدينة مقدسة لدى المسلمين، بها المسجد الحرام، والكعبة التي تُعدُّ قبلة المسلمين في صلاتهم. تقع غرب المملكة العربية السعودية، تبعد عن المدينة المنورة حوالي ٤٠٠ كيلومتر في الاتجاه الجنوبي الغربي، وسميت مكة لأنها تمكُّ الجبارين أي تذهب نخوتهم، وسميت بكة لازدحام الناس بها، ويقال مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت، وهي الحاطمة لأنها تحطم من استخف بها، والقادس لأنها تقدس من الذنوب أي تطهر، والباسَّة لأنها تبس أي تحطم الملحدين وقيل تخرجهم، وسماها الله: أم القرى، والبلد الأمين، والبيت العتيق، والبيت الحرام٠ انظر: معجم البلدان: الإمام/ الحموي، ج ٥ ص ١٨١ و ١٨٢٠ الموسوعة الحرة ٠

لوثر (١) (١٤٨٣ . ١٥٤٦م)، والتي استدعت مراجعة أصول الدين المسيحي، فتُرجم العهد الجديد إلى اللاتينية، وشعر المسيحيون بروتستانت(٢) وكاثوليك(٣) بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، لمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية، وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية، لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى، وخاصة ما كان منها متعلقا بالجانب اللغوي، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات

(١) لوثر: هو مارتن لوثر ، الذي وُلد سنة ١٤٨٢م، من أبوين فقيرين، ولكن أباه أجهد نفسه، ومكَّن له ليكون قانونياً، فأرسله إلى الجامعة، ولكنه عجز عن إتمام دراسته القانونية، وعكف على دراسة اللاهوت، ولقد كان شديد التورع، مبالغاً في تقدير سيئاته، ودفعته نزعته الدينية الخالصة وإجلاله للكنيسة ورجالها إلى أن يحج إلى روما، ليتيمن بلقاء رجال الدين، وتحل عليه بركات روما مقر الكنيسة المقدسة، ولكنه صُدم حينما رأى مدينة لاهية عابثة، ووجد رجال الدين قد دنستهم المفاسد وانغمسوا في الرذيلة، ولما عاد إلى ألمانيا بدأ مسيرته وحركته الإصلاحية في القرن السادس عشر الميلادي، والتي تقوم على : إنكار حق الغفران، والاستحالة في العشاء الرباني، ووقف فهم الكتاب المقدس على الكنيسة، وفي سنة ١٥٢١م أصدر البابا قرارا بحرمانه، ولما حاول الإمبراطور سنة ١٥٢٩م تنفيذ قرار الحرمان احتج عليه أنصار لوثر، ومن ذلك الحين سُمُّوا البروتستنت أي المحتجين. انظر: محاضرات في النصرانية: الإمام/ مُحَمَّد أبو زهرة، ص ١٦٢ ـ ١٦٥ .

(٢) البروتستانت: هم أتباع مارتن لوثر، الذي عاش في بيئة كهنوتية، واعترض على صكوك الغفران، فأصدر البابا قرارا بحرمانه. وتسمى كنيستهم "الإنجيلية" لأنهم يتبعون الإنجيل دون غيره، ولا يؤمنون بعصمة البابا، ولا صكوك الغفران، ويؤمنون بسر المعمودية والعشاء الرباني فقط من جملة أسرار الكنيسة السبعة، ويمنعون اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس، ويبيحون الزواج لرجال الدين، ولا يقولون بألوهية أم المسيح "مريم". انظر: دراسات في الأديان والنحل: الدكتور/ أحمد أحمد غلوش، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧م، مؤسسة الرسالة (القاهرة)، ص ٦٩٢ ـ ٦٩٩٠ قاموس المذاهب والأديان: حسين علي حمد، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م، دار الجيل (بيروت)، ص ٥٢ و ٥٣ .

(٣) الكاثوليك: هم أتباع البابا في روما، وكنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية، وهي أكبر الكنائس النصرانية في العالم. يؤمنون بأن للمسيح طبيعتين لاهوتية وناسوتية، وأن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً، وتؤمن بأسرار الكنيسة السبعة وتزيد عليها عصمة البابا ، ويُحَرِّمون الطلاق بتاتا حتى في حالة الزنا . انظر: دراسات في الأديان: الدكتور/ سعود الخلف، ص ٢٣٨ . المسيحية: الدكتور/ أحمد شلبي ، ص ٢٥٠ .

الشرقية حتى شملت أديانا ولغات وثقافات غير الإسلام وغير اللغة العربية ٠

٣ . الحيلولة دون دخول المسيحيين في الإسلام والتبشيرُ بالمسيحية: كان لتفوق المسلمين أبلغ الأثر في دخول كثير من الأمم في الإسلام، فقد أعجبوا بحضارة المسلمين وقوتهم العسكرية والعلمية التي كانت مضرب الأمثال، لذا تحرك المستشرقون لعرقلة الإسلام، ووقْف تيار التحول من المسيحية إلى الإسلام ٠

والاستشراق أنشئ خصيصاً لصد المد الإسلامي الذي توغل داخل أوربا في العقد الأول من القرن الأول الهجري الثامن الميلادي، الذي تمت فيه سيطرة المسلمين على أسبانيا كلها، واستولوا على معظم فرنسا، وفي القرن التاسع حاصروا روما نفسها وألزموا البابا دفع جزية قدرها خمسة وعشرون ألف رطل فضة لمدة عامين متتاليين٠ وبذلك أصبح مركز الكنيسة مهدداً، وكانت صاحبة السلطان في ذلك العصر الذي يطلق عليه اسم العصور المظلمة، ومن هنا لجأ رجالها إلى إرسال البعوث من القساوسة والرهبان يهود ونصارى لتَلَقِّي علوم الإسلام . في جامعة أسبانيا . وترجمتها إلى اللغة اللاتينية، ولكن بصورة مشوهة حتى يحجز ذلك الأوربيين عن الإقبال على الإسلام، وحتى تتمكن الكنيسة ورجالها من استعادة ما فقدت من مجد وسلطان، ومن أجل تحقيق هذا الهدف استخدمت كل وسائل الهدم والتدمير والافتراء والدس والتضليل في ثوب الاستشراق ٠

فهؤلاء المستشرقون كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ويحرفوا حقائقه، ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، ولا يصلح نظامَ حياة، وأن المسلمين قوم همج لصوص سفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويُبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، ولم يقفوا عند هذا الحد بل شككوا في صحة رسالة النبي ﷺ والقرآن، وأرجعوا الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية، وقلَّلوا من قيمة

الفقه الإسلامي، ونالوا من اللغة العربية، واعتمدوا على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة، وتطاولوا على تعاليم الإسلام ومؤلفاته في محاولة دائبة ومستمرة لتشكيك المسلمين في دينهم وتراثهم وحضارتهم، وزعزعتهم في عقيدتهم وقيمهم العليا ٠

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في التبشير (التنصير) بدينهم بين المسلمين، فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي، والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار فمكَّن لهم، واعتمد عليهم في بسط نفوذه في الشرق (١) ٠

٤ ـ تأييد الغزو الاستعماري: لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين، وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية، لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب والمسلمين، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيها فيغتنموها٠ ولما تم لهم الاستيلاء العسكري في القرنين التاسع عشر والعشرين كان من دوافع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، بتأويل الجهاد وصرف أنظار المسلمين إلى الدعة والقعود عن الجهاد في سبيل الله، ومدافعة الغزاة بالاشتغال بالعبادة والزهد وتسميتها بالجهاد الأكبر، وتحطيم وحدة المسلمين وتمزيق الدولة الإسلامية، وعزل الشريعة الإسلامية عن التطبيق في المجتمع الإسلامي، وإحلال الأنظمة القانونية والاقتصادية والسياسية والتربوية لتحل محل الإسلام بالقوة، وفَصْل المسلمين عن

(١) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: الدكتور/ مُحَمَّد البهي، ص٤٣٠٠ الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم : الدكتور/ مصطفى السباعي، ص ١٨ ٠ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٣٧٠ أضواء على الاستشراق والمستشرقين : الدكتور/ مُحَمَّد أحمد دياب، ص ١١ ٠ الاستشراق وجه للاستعمار الفكري: الدكتور/ عبد المتعال الجبري، ص ٨٢ ٠ الاستشراق بين الجحود والإنصاف: الدكتور/ عبد الله سمك، ص ٥٩ ـ ٦١ ٠ محاضرات في مفهوم التبشير: الدكتور/ مُحَمَّد زين العابدين ، ص٢٧ ٠ نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر عبد اللطيف، ص ٣٧ ـ ٣٩ ٠

جذورهم الثابتة الأصيلة، وهدم المقومات الأساسية للكيان الفردي والاجتماعي والنفسي والعقلي للمسلمين٠ ومن شأن هذا أن يفتح الباب إلى الاستسلام أمام الاستعمار وثقافته وفكره، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا، ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لنا من بعده قائمة٠ انظر إليهم كيف يشجعون في بلادنا القوميات التاريخية التي عفا عليها الزمن، واندثرت منذ حمل العرب رسالة الإسلام، ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة، وليعوِّقوا قوة الاندفاع التحررية عن عملها في قوتنا وتحررنا، وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا، وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة ٠

٥ . الدافع السياسي والتجاري: يتجلى الدافع السياسي في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى الدول العربية والإسلامية سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية، ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيرا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في بث الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، وبين الدول العربية والدول الإسلامية ٠

والدول الغربية لا ترسم سياستها الاستعمارية إلا بعد مشورة المستشرقين والاستفادة من آرائهم، وهناك كثير من المستشرقين بدأوا طريقهم في مجال الاستشراق مترجمين أو قناصل لدولهم في الشرق الأوسط، مثل "جوزيف فون هامر" مؤسس أول مجلة استشراقية متخصصة في أوربا، وهي مجلة "ينابيع الشرق" التي صدرت في فيينا من سنة ١٨٠٩م إلى سنة ١٨١٨م، كما تُعنى الدول الغربية اليوم وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية بتوجيه وزراء خارجيتها ومبعوثيها إلى الشرق الأوسط لدراسة اللغة العربية ٠

وفي هذا الإطار حرص المستشرقون على إضعاف روح الإخاء بين المسلمين وتفرقتهم لإحكام السيطرة عليهم، وكذلك عُنوا باللهجات العامية ودراسة العادات السائدة، وكان الاستعمار يوجّه المستشرقين إلى البلاد التي يحتلها لتعلُّم لغاتها، ودراسة آدابها ودينها، ليعرف كيف يسوسها ويحكمها ٠

ومن الأهداف التي دفعت بعضاً من المستشرقين لخوض مجال الاستشراق رغبتهم في غزو البلاد الإسلامية غزواً اقتصادياً، يهدفون من ورائه إلى الاستيلاء على الأسواق التجارية، والمؤسسات المالية المختلفة، والاستيلاء على الثروات الأرضية، واستغلال الموارد الطبيعية، وشراء المواد الخام بأبخس الأثمان، وإماتة الصناعات المحلية القديمة، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تُصدِّره المصانع الغربية٠ وقبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، كانت المؤسسات والشركات الكبرى والملوك يدفعون المال الوفير للباحثين المستشرقين، من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة تقارير عنها ٠

٦ . الدافع العلمي والشخصي: دراسة المستشرقين للإسلام قامت أولا بوحي من الكنيسة الكاثوليكية خاصة، للانتقاص من تعاليم الإسلام والتشكيك فيه، حرصاً على مذهب الكثلكة من جانب، وتعويضاً عن الهزائم الصليبية من جانب آخر ٠

ولتحقيق هذا الهدف العلمي عمل المستشرقون على: التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي، لأن جمهورهم ينكر أن يكون الرسول ﷺ نبياً موحى إليه من عند الله٠ إنكارهم أن يكون القرآن كتابا منزلا على الرسول ﷺ من الله، ويزعمون أن الحقائق التي وردت فيه . ولا يملكون إلا التسليم بها . إنما ترجع إلى ذكاء النبي ﷺ، أو أنه تعلمها من آخرين ٠ ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول ﷺ وسماوية القرآن، إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله، وإنما هو ملفق . عندهم . من الديانتين اليهودية والمسيحية٠ التشكيك في صحة

الحديث النبوي الشريف الذي اعتمده علماؤنا المحققون، ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودس، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مستندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبُّت والتحرِّي، مما لم يعهد في ديانتهم عُشْر معشاره في التأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم. التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور، والزعم بأن هذه الثروة الفقهية العظيمة مستمدة من الفقه الروماني، في الوقت الذي قرر فيه مؤتمر القانون المقارن المنعقد بلاهاي (١) أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته وليس مستمداً من أي فقه آخر. التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، وتشكيكهم في غنى الأدب العربي، وإظهاره مجدبا لنتجه إلى آدابهم، وذلك هو الاستعمار الأدبي الذي يبغونه مع الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه .

إن عدم العلم بشيء ما جهل بسيط ، والعلم بهذا الشيء على خلاف الواقع جهل مركب، وللجهل المركب مضاعفات وخيمة الأثر شديدة الخطر، ومن مضاعفات هذا الجهل أن يُخدع به الأغرار، وأن تُبذل الجهود لإشاعته ومد رقعته، وأن يُزاحَم به العلم الصحيح، حتى يضيق الخناق على الحقيقة فتُزهق، وينفسح المجال أمام الباطل فيخلو الجو لتضليله، وتضطرب الحياة بوساوسه. هذا الجهل المركب عنوان صادق للبحوث التي كتبها عن الإسلام

(١) لاهاي: مدينة تقع في غرب مملكة هولندا، ويبلغ عدد سكانها ٥٠٨.٥٩٢ نسمة سنة ٢٠١٤، فيما تبلغ مساحتها حوالي ١٠٠ كيلو متر مربع. وتُعدُّ بذلك ثاني أكبر مدينة هولندية بعد أمستردام. وبالرغم من أن لاهاي ليست العاصمة الرسمية لهولندا، إلا أنها تضطلع بجزء مهم من الدور الذي تؤديه العاصمة أمستردام، ففي لاهاي يقيم الملك و ولية العهد، وتوجد مقار رئاسة الحكومة والوزارات والبرلمان والمحكمة العليا ومجلس الدولة والبعثات الدبلوماسية الأجنبية. كما تُعتبر لاهاي مركزاً دولياً لمؤسسات صنع سياسة العدل والسلام في العالم، حيث توجد فيها مقار عدد كبير من المنظمات الدولية العاملة في هذا المجال. انظر: الموسوعة الحرة .

كثير من المستشرقين، ولا تنتظر من المستشرقين بحثا يخلو من العيوب، فذلك شيء يتنافى مع وظيفة الاستشراق الذي يمهد الطريق أمام الاستعمار الغربي والشرقي، كما تمهد الدبابات الطريق أمام زحف المشاة في فنون الحرب ٠

الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد، وجمهرة المستشرقين مستأجَرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه، وإن حاول أحدهم أن يبدو محايداً أو يتخفف من أثقال التعصب، تجد بقية المستشرقين يهبُّون في وجهه يطالبونه بأن يكون موضوعياً، وأن يستخدم الطريقة العلمية ٠ والمستشرقون جميعا فيهم قدر مشترك من الخصام والعداء للإسلام، والتفاوت . إن وجد فيهم . إنما هو في الدرجة فقط، فبعضهم أكثر تعصبا ضد الإسلام وعداوة له من البعض الآخر ٠

وفي بداية الأمر رأت أوربا أنها لا تستطيع أن تنهض وتتخلص من الحكم العربي المسيطر على أوربا إلا بالعلم الذي أقام عليه المسلمون فتوحهم وحكمهم، ولهذا فإننا نرى في فجر الاستشراق انكباباً واضحاً على العلوم الإنسانية والرياضية والفلسفية من رواد الاستشراق وكبار الرهبان ٠ ولكن معالم البحث العلمي المستقل لم تظهر إلا في منتصف القرن التاسع عشر، وهذا يعني أن معظم الكتابات الاستشراقية قبل ذلك كان ينقصها الطابع العلمي، وأن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحله، ولم يستطع أن يتخلص منه بصفة نهائية٠ يقول أحد المستشرقين: "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستقرة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العالمية"، ويقول آخر: "على الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكُتَّاب النصارى عن الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا منها تجرداً تاماً" ٠

وظهر من المسترقين نفر قليل جدا أقبلوا على الاستشراق بدافعٍ من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، وإن كان لا يسلم بعضها من أخطاء، لجهلهم بأساليب اللغة العربية والأجواء الإسلامية، ومن هؤلاء من اتُّهم بالانحراف عن النهج العلمي، أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة المسلمين، وهذا ما حدث مع "توماس أرنولد"(١) حين أنصف المسلمين في كتابه العظيم "الدعوة إلى الإسلام" الذي برهن فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، على عكس مخالفيهم معهم، ولم يذكر في الكتاب حادثة إلا أرجعها إلى مصدرها، بل إن من هؤلاء المستشرقين مَنْ اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته، ودافع عنه وسط قومه، منهم المستشرق الفرنسي "دينيه" (٢) الذي عاش في الجزائر (١)، فأعجب بالإسلام وأعلن

(١) توماس أرنولد: توماس وولكر آرنولد (١٨٦٤ ـ ١٩٣٠)، مستشرق بريطاني شهير، بدأ حياته العلمية في جامعة كمبردج، حيث أظهر حبه للُّغات فتعلم العربية ، وانتقل للعمل باحثاً في جامعة عليكرا في الهند حيث أمضى هناك عشر سنوات ألَّف خلالها كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام)، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لاهور، وفي عام ١٩٠٤ عاد إلى لندن وعمل أستاذاً غير متفرغ في جامعة لندن، وكان عضو هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت في ليدن بهولندا في طبعتها الأولى. عمل أستاذاً زائراً في الجامعة === === المصرية عام ١٩٣٠. ويُذكر أنه كان معلما للمفكر الإسلامي الهندي مُحَمَّد إقبال .انظر : الموسوعة الحرة .

(٢) دينيه: ألفونس إتيان دينيه (١٨٦١ ـ ١٩٢٩)، مستشرق فرنسي، ولد في باريس سنة ١٨٦١م، وكان والده قاضيا فرنسيا بارزاً . طرأ تحول كبير في حياته سنة ١٩١٣ م حينما أعلن إسلامه وغير اسمه من الفونس اتيان دينات إلى نصر الدين دينات، ليصبح الرسام الفرنسي المسلم، وقد أحدث إسلامه ضجة في أوساط الطبقة الفنية في فرنسا فاتهموه بالخيانة، ولكن نصر الدين دينات لم يعبأ بذلك ، لأنه اتخذ الإسلام دينا بكل قناعة. وبعد انتهاء موسم الحج في ٢ أبريل ١٩٢٩م سافر الحاج نصر الدين إلى باريس حيث توفي هناك

إسلامه، وتسمى باسم "ناصر الدين دينيه" وله كتاب" أشعة خاصة بنور الإسلام" بيَّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله، ومات في فرنسا ، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها ٠

وهؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يُمكِّنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجاً، لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثم فهي لا تُدرُّ عليهم ربحاً ولا مالاً، ولهذا نَدَر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين ٠

وهناك أسباب شخصية عند بعض الناس الذين تهيأ لهم الفراغ والمال، واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة في السفر أو في الاطلاع على ثقافات العالم القديم، ويبدو أن فريقا من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش المادية، أو دخلوه تخلصا من مسئولياتهم الدينية أمام إخوانهم في الدين، وتغطية لعجزهم الفكري (٢)٠ تلك كانت أهم الأسباب التي دعت إلى الاستشراق، وهي تتنوع بين أن

بعد أشهر قليلة في 24 ديسمبر1929 م ٠ انظر: الموسوعة الحرة ٠

(١) الجزائر: أكبر بلد أفريقي وعربي من حيث المساحة، والعاشر عالميا٠والاسم الرسمي للجزائر هو الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية٠ تقع الجزائر في شمال غرب القارة الأفريقية، تطل شمالا على البحر الأبيض المتوسط ويحدها من الشّرق تونس وليبيا ومن الجنوب مالي والنيجر ومن الغرب المغرب و الصحراء الغربية وموريتانيا الجزائر عضو مؤسس في اتحاد المغرب العربي، وعضو في جامعة الدول العربية و الاتحاد الإفريقي ومنظمة الأمم المتحدة منذ استقلالها، والأوبك والعديد من المؤسسات العالمية والإقليمية. تلقب ببلد المليون ونصف المليون شهيد نسبة لعدد شهداء ثورة التحرير الوطني التي دامت ٧ سنوات ونصف٠ الدين الرسمي للجزائر الإسلام واللغتان الرسميتان اللغة العربية والأمازيغية٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٢) من وسائل المستشرقين لنشر أبحاثهم وبث أفكارهم : تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام ورسوله وقرآنه، وفي معظمها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص، وفي فهم الوقائع التاريخية، والاستنتاج منها٠ إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه٠إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي

تكون أسبابا دينية أو استعمارية أو سياسية أو تجارية أو علمية أو شخصية ٠

المطلب الثاني

صلة الاستشراق بأجنحة المكر الأربعة

أولاً: صلة الاستشراق بالتبشير:

الاستشراق ما هو إلا لون من ألوان التبشير لاءم نفسه مع ظروف الحياة، ودراسة كل واحد منهما تعطي صورة كاملة عن الآخر ٠ وهناك صلة وثيقة بين الاستشراق والتبشير، وإن بدت حركة التبشير أولاً وتلتها حركة الاستشراق، إلا أن كليهما يحمل أثقالا من الافتراءات والادعاءات الظالمة ضد الإسلام ورسوله وحضارته ودعوته، وذلك بتعاون تام، وتنسيق مستمر، وتخطيط منظَّم ٠

فعلاقة الاستشراق بالتبشير أو بالأحرى علاقة المستشرقين بالمبشرين علاقة قديمة وقوية لا ينكرها أحد، فهما وجهان لعملة واحدة، وهي خدمة الاستعمار بصورة أو بأخرى، بل كان الاستشراق والتبشير في أول الأمر شيئاً واحداً، فالمستشرق الذي يبحث في علوم الشرق الإسلامي بقصد نقدها وتشويهها، إنما هو بعينه يدعو إلى تنصير المسلمين، وبمرور الزمن تم الفصل بين المستشرقين والمبشرين حتى تسهل المهمة ويزيد الإنتاج، مع وجود الصلة القوية بين الفريقين ٠

والاستشراق والتبشير توأمان تجمعهما وحدة الهدف والغاية، وهي

لتزاول أعمالا إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ ودور الضيافة٠إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية العربية والإسلامية٠ مقالات في صحفهم المحلية، كما استغلوا عدداً من الصحف العربية للتعبير عن آرائهم المسيحية٠ عقد المؤتمرات لإحكام خططهم في الحقيقة، ولبحوث عامة في الظاهر، وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ عام ١٧٨٣م حتى الآن ٠ إنشاء "دائرة المعارف الإسلامية"، التي صدرت بعدة مؤلفات ، ودسَّ فيها كبار المستشرقين وأشدهم === === عداء للإسلام السم في الدسم، ومُلئت بالأباطيل على الإسلام، ومن المؤسف أنها مرجع أساس لكثير من المثقفين والباحثين خاصة في العالم الغربي ٠ انظر: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم: الدكتور/ مصطفى السباعي، ص ٣١ ـ ٣٤ ٠

توهين القيم الإسلامية، وتفتيت وحدة المسلمين، والسيطرة على مقدراتهم وثرواتهم، ثم صرفهم في نهاية المطاف عن إسلامهم، وحملهم على الارتماء في أحضان الغرب، والسير في ركابه، ولهذا يوليهما الاستعمار كبير عنايته وبالغ تأييده، باعتبارهما الجسر الذي يعبر عليه لتنفيذ مخططاته وتحقيق أهدافه في العالم العربي والإسلامي ٠

يقول صاحب كتاب "الفكر الإسلامي الحديث": "إن التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار في مصر والشرق الإسلامي، فكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية، والغض من اللغة العربية الفصحى، وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب العربية، وكذا بين الشعوب الإسلامية، والتنديد بحال الشعوب الإسلامية الحاضرة، والازدراء بها في المجالات الدولية العالمية" (١) ٠

ويقول اللورد "بلفور" وزير خارجية بريطانيا، وصاحب الوعد المشئوم بجعل فلسطين(٢) العربية المسلمة وطناً قومياً لليهود، ورئيس شرفي إحدى الجمعيات التبشيرية: "إن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة، وعضدها في كثير من الأمور المهمة، ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيراً من العقبات، ولذلك فإننا في حاجة إلى لجنة دائمة تعمل لما فيه صالح المبشرين" (٣) ٠

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: الدكتور/ محمد البهي، ص ٤١٧ ٠

(٢) فلسطين: بلاد الفلسطينيين، وهم قبيلة غير سامية أتت من كفتور، ازدادت قوة وسيطرت على العبرانيين (١ صم ص ١٣ و ١٤ و ١٧)، حكمت العبرانيين إلى أن غلبها داود (٢ صم ٥ : ١٧ ٠٠٠ ، ٨ : ١) ٠ انظر: أطلس الكتاب المقدس، ص ٢١ ٠

(٣) انظر: محاضرات في مفهوم الاستشراق: الدكتور/ محمد زين العابدين، ص ١ ٠ === === === التبشير الخطر الداهم : الدكتور/ عبد الكريم حسن بلال، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، ص ١٩ و ٢١ و٢٢ ٠ قوى الشر المتحالفة: الاستشراق٠ التبشير ٠ الاستعمار وموقفها من الإسلام والمسلمين: محمد محمد الدهان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع (المنصورة)، ص ٤٨ ٠

فمعركة الاستشراق التي قادها المستشرقون، لا تختلف كثيراً عن معركة التبشير التي قادها المبشرون، لأن أهداف الفريقين من حيث النتيجة واحدة، تتلخص في محاربة الإسلام من داخله، وزرع الشك في نفوس المسلمين، والطعن على نبي الإسلام، والحط من قيمة الفكر الإسلامي، وتشويه التاريخ الإسلامي، وإثارة الفتن بين الطوائف الإسلامية، ومحاربة اللغة العربية، وتلقين الشباب المسلم الإعجاب بالغرب ومدنيته ٠

كما أن الاستشراق يتفق مع التبشير في العداء للإسلام، وشاركهما هذا العداء الاستعمار، ولا تستطيع أن تُفرِّق بين المستشرق والمبشر والمستعمر، فكلهم وجوه لعملة واحدة، تهدف إلى أمرين: القضاء المبرم على الإسلام والمسلمين أينما وجدوا، ثم خدمة شعوبهم وبلادهم وحكوماتهم (١) ٠ فالعداء للإسلام والمسلمين هو الركيزة الأساسية في عمل المبشرين والمستشرقين، وهو نقطة الانطلاق لكل منهما ٠ كما يُعتبر الاستشراق والتبشير أداتين هامتين في تثبيت قوائم التغريب والغزو الثقافي ٠

ومن نقاط الاتفاق بين الاستشراق والتبشير أنه إذا كان الاستشراق لا يقوم إلا على أساس معرفة اللغات الشرقية، التي هي الوسيلة للتعرف على عقائد وحضارات الشرق، فإن التبشير (التنصير) يتفق مع الاستشراق في هذا الصدد، وكان هناك اقتناع تام لدى دعاة التنصير في القرن الثالث عشر الميلادي بضرورة تعلُّم لغات المسلمين، إذا أريد لمحاولات تنصير المسلمين أن تؤتي ثمارها بنجاح، وتُرجم هذا الاقتناع فيما بعد إلى خطة عمل، وكان من بين الدعاة المتحمسين الذين طالبوا بضرورة تعلم لغات المسلمين لغرض التنصير "روجر بيكون ١٢١٤ ـ ١٢٩٤م" و "رايموند لول ١٢٣٥ ـ ١٣١٦م"، وصادق مجمع "فيينا" الكنسي سنة ١٣١٢م على أفكار "بيكون" و "لول"،

(١) انظر: جذور البلاء: القسم الأول: عبد الله التل، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، المكتب الإسلامي (بيروت)، ص ١٩٧٠ التبشير الخطر الداهم: الدكتور/ عبد الكريم بلال، ص ١٦ ٠

وتمت الموافقة على تعلُّم اللغة العربية في خمس جامعات أوربية، وفي القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي شجعت البابوية الرومانية على دراسة لغات الشرق من أجل مصلحة التنصير، وأنشئت كراسي للغة العربية في أماكن مختلفة (١) ٠

وهناك إعداد متشابه يتضح في المؤهلات الضرورية التي يُشترط توافرها في كل مستشرق ومبشِّر، من أهمها: أولاً: الدراسة اللاهوتية والتاريخية المتعمقة لليهودية والنصرانية (٢)، وهذه الدراسة يقصد بها: تعميق وعي المستشرق والمنصِّر بدينه لمواجهة عقائد الدين الآخر وهو الإسلام، ومحاولة تدعيم الزعم الذي يردده جميع المستشرقين والمنصِّرين، وهو أن الإسلام مأخوذ من اليهودية والنصرانية ، وأن القرآن الكريم مستمد من التوراة (٣) والإنجيل٠ ثانياً: دراسة الإسلام واللغة العربية، واتخاذ هذه الدراسات وسائل لإثارة

(١) انظر : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: الدكتور/ محمود حمدي زقزوق، ص ٣٤ ـ ٣٦ ٠

(٢) النصرانية: نسبة إلى بلدة الناصرة، من أرض الجليل بفلسطين، موطن عيسى عليه السلام، والمكان الذي ولد فيه، وابتدأ فيه دعوته ٠ والنصارى هم القوم الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام وكتابهم الإنجيل ٠ والنصرانية هي الملة التي يزعم أهلها أنها الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام ٠ انظر: الملة والنحلة: الدكتور/ حمدي عبد العال، ص ٨٠ ٠ العلاقة بين الدين والدولة في اليهودية والنصرانية والإسلام (دكتوراه): الدكتور/ ماجد عبد السلام إبراهيم، ص٣١٧ و ٣١٩ ٠ دراسات في الأديان: الدكتور/ سعود الخلف، ص ١٠٣ ٠

(٣) التوراة: كلمة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس، ويراد بها عند اليهود الشريعة التي أبلغها موسى عليه السلام قومه في سيناء بعد خروجهم من مصر ، وهي أهم الكتب المقدسة في عقيدة اليهود، ويقفون إجلالا لها عند استخراجها من صندوق المعبد ٠ والتوراة عند النصارى هي الأسفار الخمسة والكتب الملحقة بها، وتسمى عندهم العهد القديم ٠ أما عند المسلمين فهي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام نوراً وهدى لبني إسرائيل، وألقاه إليه مكتوبا في الألواح، وقد ذُكرت في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة ٠ انظر: دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية : الدكتور/ سعود بن عبد العزيز الخلف، ص ٥١ و ٥٢ . الملة والنحلة في اليهودية . المسيحية . الإسلام : الدكتور/ حمدي عبد العال، ص ٤١ . الملل والنحل: الإمام/ أبو الفتح الشهرستاني، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، مؤسسة ناصر للثقافة (بيروت)، ص ٩٥ . محنة التوراة على أيدي اليهود: عصام الدين حفني ناصف، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، مطبعة الرسالة (القاهرة)، ص ٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: الشيخ/ مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، دار الحديث (القاهرة)، ص١٥٨ .

الشبهات والتشكيك في الإسلام ([1]) ٠

والتعاون والتنسيق بين الاستشراق والتبشير كان ولايزال قائما ومستمراً، فلم يكن عمل المستشرقين منفصلا عن عمل المبشرين، لأن الاستشراق ما هو إلا أداة من أدوات التبشير، ثم استُغل في مرحلة لاحقة لتحقيق مطامع الدول الاستعمارية، وقد نزل كثير من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية إلى ميدان الاستشراق، بقصد التبشير وتدريب المبشرين على العمل في بلاد الشرق ٠

والمستشرق يُفني عمره في القراءة الدائبة لعلوم المسلمين، من أجل تصيُّد خطأ كاتب من كُتَّاب المسلمين، ثم يتجاوز حدوده حين يُحمِّل المسئولية عن هذه الهفوة للإسلام ورسوله، ويصب جامَّ غضبه على الإسلام مباشرة، فينسج حوله الأكاذيب والأباطيل والخرافات، ويُحمِّله مسئولية تأخر المسلمين وتخلفهم في هذا الزمان٠ ويتلقف المبشر هذه الشبهات التي أثارها المستشرقون، وبعد أن يهضمها يأتي إلى بلاد المسلمين في ثوب الناصح الأمين الحريص على مصالح المسلمين، فينفث سمومه، ويضع السم في العسل وسط هذه الشبهات، ويثير الفتن والقلاقل في البلاد الإسلامية، حتى تكون مدعاةً لتدخل المستعمر الأثيم، أي أن الاستشراق مصنع للشبهات، والتبشير مروِّج لها٠ ومن جهة أخرى فإن المستشرق يقف على العوائق والصعوبات التي تواجه المبشر أثناء عمله ، فيضعها موضع البحث والدراسة، بغية الوصول إلى حلول ومقترحات تسهل للمبشِّر عمله التنصيري ٠

فالاستشراق تغذية للتبشير وإمداد له بما يعاونه في مهمته، والمستشرقون هم طلائع المبشرين، وهم الذين يمهدون للمبشرين سبيل الطعن في الإسلام، ويزودونهم بأنواع شتى من الشعوذة العلمية باسم الاستنتاج التحليلي، ووَجد إنتاج المستشرقين رواجا على أيدي المبشرين ومعاهدهم وإرسالياتهم وجامعاتهم، في صورة مناهج تنتقص القيم الإسلامية في العقيدة والشريعة واللغة والتاريخ والاقتصاد والتربية ٠

(١) نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر عبد اللطيف، ص ٥٧ بتصرف ٠

ولايزال الاستشراق يلعب دوراً هاماً في خدمة التنصير، يكمن في إمداده بالمعلومات اللازمة عن البلاد الإسلامية، منها: تعريفه بالإسلام وحضارته، ولغاته ومجتمعاته، وعمل الدراسات العلمية التي تكشف للمنصِّر مواطن الضعف في المجتمعات الإسلامية، ودراسة الاحتياجات اللازمة في بعض بلاد المسلمين التي تعاني من الفقر والمرض، وسد هذه الاحتياجات عن طريق الأعمال التنصيرية المسماة بالأعمال الخيرية (١).

فالفصل بين الاستشراق والتبشير عسير، لأن كثيراً من المبشرين انتقلوا إلى ميدان الاستشراق بعد فترة من عملهم، وبابا الفاتيكان وغيره من أساقفة المسيحية ورؤسائها نزلوا إلى ميدان الاستشراق، بقصد التبشير وإرسال المبشرين إلى بلاد الشرق، كما أن بعضاً من المستشرقين ـ ليس بالقليل ـ كان يقوم بالتبشير، وفي نفس الوقت يعمل أستاذا للدراسات الشرقية في الجامعات الأوربية والأمريكية ٠

وكان المبشرون والمستشرقون يعملون في حقل واحد، ولكن لكلٍّ وجهته، فكان همُّ المستشرقين أن يدرسوا الشرق لغة وفكراً واجتماعاً، ثم تأتي الدعوة إلى الديانة المسيحية عرضاً، وهم أسبق في دراستهم من المبشرين٠ وكان همُّ المبشرين هو بث التعاليم المسيحية، وتعريف الناس بالإنجيل، وهم أسبق من المستشرقين وجودا لا دراسة ٠

ثانياً: صلة الاستشراق بالاستعمار:

أ ـ مفهوم الاستعمار:

بمراجعة بعض المعاجم اللغوية للتعرف على مفهوم كلمة "الاستعمار"،

(١) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: الدكتور/ مُحَمَّد البهي، ص٤١٨ و ٤١٩ ٠ التبشير بين النظرية والتطبيق: الدكتور/ مجدي مُحَمَّد فهيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، ص ٣٦٠ محاضرات في مفهوم الاستشراق: الدكتور/ مُحَمَّد زين العابدين، ص ١٥ و ١٦٠ التبشير الخطر الداهم: الدكتور/ عبد الكريم بلال، ص ٢٢ و ٢٣ ٠ نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر عبد اللطيف، ص ٥٨ و ٥٩ ٠

تبين أنها مأخوذة من مادة "ع م ر"، ولها اشتقاقات ومعان متعددة، أهمها:

عَمَرَ المنزلُ بأهله عمْرا من باب قتل، كان مسكونا بهم، فهو عامر٠ وعَمَره أهلُه سكنوه وأقاموا به٠ وعَمَرتُ الدار بنيتها، فهي معمورة٠ وعَمَر القومُ المكان أي سكنوه، فهو معمور ٠ وعَمَر الله بك منزلك جعله آهلاً٠ وعَمَر المال صار كثيراً وافراً٠ وعمرتُ الخرابَ فهو عامر أي معمور، كماء دافق أي مدفوق، وعيشة راضية أي مرضية، قال تعالى: ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ ﴾ (١)، وهو بيت في السماء السابعة بإزاء الكعبة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، يخرجون منه ولا يعودون إليه٠ عَمَر ربه: عبده، وإنه لعامر لربه أي عابد، يقال رجل عمَّار إذا كان كثير الصلاة والصيام ٠

عَمِرَ الرجل يعْمَر من باب فهم، أي عاش وبقي زمناً طويلاً، ومنه قولهم: أطال الله عمرك بضم العين وفتحها٠ ويقال: عَمِر فلان يعمَر إذا كبر ٠ وعَمِرَ الرجل ماله وبيته يعمره عمارة وعموراً وعمراناً: لزمه ٠

أعْمَر الأرض وعمَّرها: بنى عليها وأهَّلها، وجعلها عامرة ٠ واستعمر الأرض: أمدها بما يعوزها من الأيدي العاملة، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٢) *، أي أذن لكم في عمارتها ٠ واستعمرت دولةٌ دولةً أخرى: فرضت عليها سياستها واستغلتها ٠ اعتمر الشيءَ: أمَّه وقصده وزاره، يقال: أتانا فلان معتمرا أي زائراً٠ واعتمر أي تعمَّم بالعمامة ٠

العُمْر: أن يبني الرجل بامرأته في أهلها، فإن نقلها إلى أهله فذلك العرس٠ والعُمْر والعُمُر والعَمْر: اسم لمدة عمارة البدن بالحياة، فإذا قيل طال

(١) سورة الطور: الآية ٤ ٠

(٢) سورة هود: الآية ٦١ ٠ * ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ (سورة التوبة : الآية ١٨)، ومعناها إما من العمارة التي هي حفظ البناء، أو من العُمرة التي هي الزيارة، أو من قولهم عمرت بمكان كذا أي أقمت به ٠ انظر: تاج العروس، ج ٣ ص ٤٣٥ ٠

عمره فمعناه عمارة بدنه بروحه، وروى ابن عباس (١) في قوله تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ (٢) أي لحياتك، قال: وما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة النبي ﷺ، وسمي الرجل عَمْرا تفاؤلا أن يبقى٠ قال الجوهري (٣): معنى لعمر الله أحلف ببقاء الله ودوامه ٠

العُمْريُّ: ما تجعله للرجل طوال عمرك أو عمره، وهو أن يدفع الرجل إلى أخيه داراً، فيقول له: هذه لك عمرك أو عمري، أينا مات دُفعت الدار إلى أهله، وكذلك كان فعلهم في الجاهلية، فأبطل الإسلام هذه الشروط وأمضى الهبة٠

المَعْمَر: المنزل الواسع المرضي الكثير الماء والكلأ٠ والعِمارة: ما يعمر به المكان ٠ والعُمارة : أجرها أي أجر العِمارة ٠ والعَمارة : كل شيء جعلته على رأسك من عمامة أو قلنسوة أو تاج أو غير ذلك ٠

العُمرة: مأخوذة من الاعتمار، وهو الزيارة والقصد، وخُصَّ بهذا لأنه قصدٌ بعمل في موضع عامر، وهو في الشرع زيارة البيت الحرام بالشروط المخصوصة المعروفة٠ المعمورة: الدار المبنية أو المسكونة، وتطلق على ما عُمِّر من الأرض ٠ ودار معمورة: يسكنها الجن٠ وعمَّار البيوت: سكانها من

(١) عبد الله بن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، أبو العباس الهاشمي٠ ابن عم رسول الله ﷺ، وحبر هذه الأمة وترجمان القرآن، وكان يقال له الحبر والبحر، وروى عنه ﷺ شيئاً كثيراً، وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين٠ توفي سنة ثمان وستين هجرية ٠ انظر: البداية والنهاية: الإمام/ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: أحمد أبو ملحم وغيره، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، دار الريان للتراث (القاهرة)، م ٤ ج ٨ ص ٢٩٨ ٠

(٢) سورة الحجر: الآية ٧٢ ٠

(٣) الجوهري: هو إسماعيل بن حماد الجوهرى، الفارابى (أبو نصري) لغوى، أديب . أصله من بلاد الترك من فاراب، ورحل إلى العراق والحجاز، ثم عاد إلى نيسابور، فلم يزل مقيماً بها على التدريس والتأليف حتى توفى بها سنة ثلاثمائة وثلاث وتسعين هجرية .من تصانيفه: " تاج اللغة وصحاح العربية" . انظر: معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي (بيروت)، ج ٢ ص ٢٦٧ ٠

الجن٠ العوامر: الحيات التي تكون في البيوت، وقيل سميت عوامر لطول أعمارها ٠

العمران: البنيان، وما يعمر به البلد ويحسن حاله بوساطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي٠ وعِلْم العمران عند ابن خلدون (١): علم الاجتماع ٠ والمستعمرة: إقليم يحكمه أجنبي يتوطنه، أو يكتفي باستغلاله اقتصادياً أو عسكرياً (٢)٠ فمادة "ع م ر" تدور في اللغة حول معان إيجابية وصفات حسنة تدور حول العمارة بشقيها المادي والمعنوي، مثل: البناء والتشييد، وما يعمر به المكان والبلد، والمنزل الواسع الكثير الماء والخير، والإقامة فيه، وكثرة المال، والعبادة، والعيش زمناً طويلاً، والقصد إلى شيء عظيم عامر وزيارته، والبناء بالمرأة في أهلها ٠

ومعنى الكلمة في الاصطلاح يخالف ما عليه أصلها اللغوي، فهي في الاصطلاح تعني: استيلاء شعب بالقوة العسكرية على شعب آخر، لنهب ثرواته، واستغلال أرضه، وتسخير طاقات أفراده لمصالح المستعمرين، ويرافق ذلك اتخاذُ مخططاتِ تحويل هذا الشعب عن دينه ومفاهيمه ومبادئه وأخلاقه وسلوكه الفردي والاجتماعي إلى ما هو عليه الشعب المستعمِر، من مبادئ ونظم وعادات (٣) ٠

(١) ابن خلدون: عبد الرحمن بن مُحَمَّد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م)، مؤرخ من شمال أفريقيا، تونسي المولد أندلسي حضرمي الأصل٠ تَوَجَّهَ إلى مصر، ووَلِيَ فيها قضاء المالكية، وظلَّ بها ما يناهز ربع قرن (٧٨٤-٨٠٨هـ)، حيث تُوُفِّيَ عام ١٤٠٦ عن عمر بلغ ستة وسبعين عامًا، ودُفِنَ قرب باب النصر بشمال القاهرة تاركا تراثا ما زال تأثيره ممتدا حتى اليوم 0ويعتبر ابنُ خَلدون مؤسسَ علم الاجتماع الحديث ومن علماء التاريخ والاقتصاد٠ انظر: الموسوعة الحرة ٠

(٢) انظر: لسان العرب، ج ٦ ص ٤٣٥ ـ ٤٣٩٠ الصحاح، ج ٢ ص ٧٥٦ ـ ٧٥٨ ٠ تاج العروس، ج ٣ ص ٤٣٠ ـ ٤٣٣٠ القاموس المحيط، ج ١ ص ٦٢١٠ المصباح المنير، ص ٢٥٥ ٠ المعجم الوسيط، ج ٢ ص ٦٥٠ ٠

(٣) التنصير بين الماضي والحاضر وكيفية مواجهته: الدكتور/ مُحَمَّد زين العابدين، والدكتور عادل درويش، ص

أو هو حصول دولة أجنبية مستغِلّة على مجهودات وموارد دولة أخرى مستغَلَّة، دون أن تقوم الأولى بإضافة شيء لمجتمع الثانية إلا ما يخدم مصالحها الاستعمارية: من تعليمٍ بدائي للأيدي العاملة، وتحسينٍ محدود للصحة، وإقامة طرق ومواصلات، وبعض صناعات بسيطة كلها تخدم المستعمر (١) *. فالكلمة من الألفاظ البراقة التي استخدمها أعداؤنا في خداع شعوبنا، وأوهمونا أنهم أتوا للبناء والعمار، والحقيقة والواقع يؤكد أنهم أتوا للتدمير والخراب، مادياً ومعنوياً وفكرياً .

هذا الاستعمار الغربي الذي هاجم العالم الإسلامي كان مزدوجَ الهدف، فهو طامع في خيرات الشرق الكثيرة، يراها ميراثاً لا صاحب له، وهو في الوقت نفسه مثقل بضغائن قديمة **، يريد التنفيس عنها، وقد كانت هذه الضغائن وراء الحروب الصليبية في العصور الوسطى، وهي كذلك وراء الحروب الاستعمارية في العصر الحديث.

فلما واتته الفرصة ووضع يده على أقطار الإسلام، شرع يضرب الإسلام

---

١٧١ بتصرف .

(١) انظر: بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد: الدكتور/ علي عبد الوهاب، ص ١١٠ .

* منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تمكَّن الاستعمار الغربي المسيحي من السيطرة التامة على المسلمين في وسط آسيا وشرقها، كما تمكَّن من مدِّ نفوذه إلى قلب العالم الإسلامي في منطقة الشرق الأدنى، وما جاءت الحرب العالمية الأولى وانقضى أجلها، حتى أصبح العالم الإسلامي كله تحت نفوذ هذا المحتل المستعمر الذي لا يرحم. انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: الدكتور/ محمَّد البهي، ص ٢٣ و ٢٤ .

** لا تزال هذه الضغائن موجودة في نفوس الغربيين حتى الآن ولم تخمد نارها، وهذا واضح من كتابات بعض المستشرقين المعاصرين الذين يعترفون بهذه الحقيقة: يقول "برنارد لويس": " لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة وراء الحواشي المرصوصة في كتابات البعض الآخر منهم". ويقول "نورمان دانيل": "على رغم المحاولات التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتَّاب المسيحيين عن الإسلام، فإنهم لن يتمكنوا أن يتجردوا منها تجردا تاما كما يتوهمون". انظر: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري: الدكتور/ عبد المتعال الجبري، ص ١٧٤ .

بقوة ومكر، وانطلقت طلائع الغزو الثقافي تطارد هذا الدين في ميادين التربية والتعليم والتشريع، وتطوي تقاليده الاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسياسية، وأفلحت في تكوين أجيال تنظر إلى ماضيها كله على أنه أنقاضٌ أو مخلفاتٌ ينبغي أن تختفي، ليحل محلها البناء الجديد الذي وضع الغرب حقيقته وصورته ٠

واتخذ الاستعمار لتحقيق هذا الهدف وسيلتين: الأولى: قيام بعض مفكري المسلمين بحركة تقدمية، تبغي تقرير سلطة المستعمر، وعدم تحديه ومعارضته ٠ الثانية: قيام بعض الغربيين المسيحيين بصبغ حياة المسلمين بصبغة الحضارة الغربية، ليتحول الكثير من المسلمين إلى أعوانٍ وأتباعٍ لهذه الحضارة وأهلها، كما قاموا بتشجيع الدعوات القومية، وإبراز الخلافات المذهبية بين طوائف المسلمين وشعوبهم ، مع شرح كثيرٍ من مبادئ الإسلام شرحا يشوهها وينحرف بها عن أهدافها الأصلية، مع تمجيد القيم المسيحية، والحضارة الغربية، والنظام السياسي، والسلوك الفردي للشعوب الغربية (١)٠ فكما أن الاستعمار مزدوج الهدف، هو مزدوج الوسيلة، ومزدوج الصلة بين الاستشراق والتبشير، كما سيأتي في النقطة التالية ٠

ب ـ صلة الاستعمار بالاستشراق والتبشير:

١ ـ صلة الاستعمار بالاستشراق:

هناك صلة وثيقة، وهدف مشترك، ومصلحة متبادلة بين كل من الاستشراق والتبشير من جهة، والاستعمار من جهة أخرى، فالاستشراق والتبشير كلاهما دعامة الاستعمار في العالم الإسلامي، وكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية، والغض من شأن اللغة العربية الفصحى، وتوهين

(١) انظر: الغزو الثقافي يمتد في فراغنا: الشيخ/ محمد الغزالي، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة (عمان)، ص ٤٤ ـ ٤٦٠ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: الدكتور/ محمد البهي، ص ٢٨ ٠ الغزو الفكري وأثره على المجتمع الإسلامي: الدكتور/ علي عبد الحليم محمود، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، دار المنار الحديثة (القاهرة)، ص ١٧١ ٠

أواصر القربى بين الشعوب الإسلامية، لتفتيت وحدتهم، وكسر شوكتهم، وتمكين الأوربي المسيحي المستعمر من السيطرة عليهم ٠

ولقد كان للاستشراق دور كبير في خدمة الاستعمار الأجنبي الذي اجتاح العالم الإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وكان للاستعمار دور مهم في تعزيز موقف الاستشراق الذي مارس عمله على أعلى مستوى في ظل الحماية الغربية (١) ٠

واستطاع الاستعمار أن يُجنِّد طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه، وتحقيق أهدافه، وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين، وانساق في هذا التيار عدد من المستشرقين، ارتضوا لأنفسهم أن يكون علمهم وسيلة لإذلال المسلمين، وإضعاف شأن الإسلام وقيمه:

ففي فرنسا كان هناك عدد من المستشرقين يعملون مستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال أفريقيا٠ وكانت الحكومة البريطانية . من أجل تحقيق أهدافها الاستعمارية . ترسم سياستها في مستعمراتها بعد التنسيق والتشاور مع فريق من المستشرقين الذين يقدمون لها الدراسات المطلوبة ٠

وكان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشرق وأوديته من أجل السيطرة عليه، وإخضاع شعوبه وإذلالها، لأن المعرفة بالأجناس المحكومة أو الشرقيين هي التي تجعل حكمهم سهلاً ومجدياً ٠

كما استخدم الاستشراق الكتب والمجلات والمقالات ودوائر المعارف وكراسي التدريس والمؤتمرات العلمية والمحاضرات العامة وغيرها من الوسائل التي تقذف بالأكاذيب والمغالطات والشبهات على الإسلام وأهله، استخدمها لخدمة الاستعمار في أغلب الأحيان٠هذا إلى جانب التبرير الاستشراقي للسيطرة الاستعمارية على بلاد العالم الإسلامي، وذلك بإضعاف المقاومة

(١) انظر: محاضرات في مفهوم الاستشراق: الدكتور/ محمد زين العابدين، ص ٢٠ ٠ نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر عبد اللطيف، ص ٦٤ ٠

الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وتشكيكهم في معتقداتهم وتراثهم، حتى يتم للاستعمار في النهاية إخضاعَهم إخضاعاً تاماً للحضارة والثقافة الغربية ٠

وأنشأ الاستشراق عدة كليات، لتكون في خدمة الحكومات المستعمِرة، وكان رجال السياسة على صلة وثيقة بأساتذة تلك الكليات، وإلى آرائهم يرجعون قبل البت في المسائل السياسية المتعلقة بالأمم العربية والإسلامية، وأكبر شاهد على ذلك أن السيد "أنتوني إيدن" رئيس وزراء انجلترا السابق الذي شغل من قَبْل منصب وزير الخارجية، وأسهم فيما بعد في العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م، هذا الرجل لم يكن ليضع قراراً سياسياً في شئون الشرق الأوسط، قبل أن يجتمع وأساتذة من المستشرقين في جامعة أكسفورد وكلية العلوم الشرقية ٠

ويقوم منهج الاستشراق في خدمة الاستعمار على: تكوين الدراسات الاستشراقية عن البلاد الإسلامية قبل احتلالها بفترة، فقد مهدت فرنسا لاحتلالها للجزائر سنة ١٨٣٠م بفترةِ دراساتٍ سبقت ذلك الاحتلال بنحو عشرين عاماً، وكذلك سبقت الاحتلال البريطاني لمصر وغيرها من أجزاء العالم الإسلامي دراساتٌ استشراقية، قام بها المستشرقون البريطانيون، ولم يغب عن الحملة الفرنسية أن تستغل الاستشراق لتحقيق مآربها في الاستيلاء على مصر ٠ وتتسم تلك الدراسات الاستشراقية الممهِّدة للاستعمار بالإلمام بكل صغيرة وكبيرة في المجتمع الإسلامي، وتصويره بصورة تُسهِّل على الاستعمار الغربي الاستيلاء عليه، كما اتسمت بطابع العنصرية لأنها قامت على نظرية العرق، التي أكدت تفوق الإنسان الغربي الآري على الإنسان السامي، الذي . هو في زعمها . بطبيعته التكوينية يعاني من تخلُّف لا يمكن الخلاص منه مطلقاً ٠

وجميع المستشرقين هم تبع لوزارات الخارجية في كل البلاد القائمة على الاستعمار، مما يدل على أن مهمتهم سياسية وليست ثقافية، فإذا هم خُدَّام

الاستعمار، عن طريق تشكيك العالم الإسلامي في عقيدة أهله (١) ٠ وفي المقابل أنشأ الاستعمار عدة مؤسسات في البلاد العربية والإسلامية لخدمة الاستشراق والدراسات الاستشراقية ٠

وينطوي عمل الدارسين للإسلام من المستشرقين على نزعتين رئيستين: النزعة الأولى: تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وتمهيد النفوس بين سكان هذه البلاد لقبول النفوذ الأوربي والرضا بولايته ٠ النزعة الثانية: الروح الصليبية في دراسة الإسلام، تلك النزعة التي لبست ثوب البحث العلمي.

ويتجلى مظهر النزعة الأولى في إضعاف القيم الإسلامية، عن طريق شرح تعاليم الإسلام ومبادئه شرحاً يُضعف في المسلم تمسكه بالإسلام، ويُقوّي في نفسه الشكَّ فيه كدين، أو على الأقل كمنهج سلوك يتفق وطبيعة الحياة القائمة، فيشرح طاعة المرأة للرجل على أنها نوع من الإذلال، ويعرض الجهاد على أنه سيف الإسلام الذي لم ينتشر إلا به، ويفسر فكرة العودة إلى القرآن الكريم على أنها تعني العودة إلى الحياة البدائية ٠

كما يتجلى مظهر تلك النزعة في تمجيد القيم الغربية المسيحية، من خلال إبراز التفوق الغربي في الصناعة وزيادة الدخل، والاستدلال بهذا التفوق على سمو المقاييس الغربية في السلوك الفردي والعادات الاجتماعية، وعلى أصالة القيم المسيحية، وأن تخلُّف المسلمين في مجال هذه الحضارة دليل على تخلف الإسلام في قيمه ومبادئه، وعلى الشرق الإسلامي . إذا أراد أن يرتقي في سُلَّم الحضارة . أن يتخلى عن الإسلام كدين، وأن يقبل وصاية أوربا، لكي

(١) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: الدكتور/ محمود حمدي زقزوق، ص ٥٣ ـ ٥٩ ٠ التبشير والاستشراق أحقاد وحملات: المستشار/ عزت الطهطاوي، ص٤٩ و ٥١ ٠ الاستشراق وجه للاستعمار الفكري: الدكتور/ عبد المتعال الجبري، ص ١٧٣ ٠ نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر عبد اللطيف، ص ٦٧ و ٦٨ ٠

يسهل عليه إدارة أموره الفكرية وسياسة حكمه ([1]) ٠

فالمستعمرون يُسخِّرون قواهم المادية لسحق هذه الأمة، والمستشرقون يقدمون الأسباب العلمية والتاريخية لهذا العدوان، بإظهار الإسلام في شكلٍ منكَر، ويغلِّفون أصوله وفروعه بحشد لا آخر له من الأكاذيب، حتى تبدو وكأنها بقايا خرافات يجب محوها فوراً ٠

فلابد أن يسبق الاستشراقُ الاستعمار، ليكون طلائع جيشه، وأعين أمنه، ويقوم بتدريب باحثين ودبلوماسيين ومهنيين، يحملون جميعاً أيديولوجية الغرب وعقليته تجاه الشرق وحضارته٠ والدول الغربية قبل أن تغزو الشرق الإسلامي بالحديد والنار والسيف، غزته حضارياً وفكرياً، وسارت الحركة الاستشراقية مع الحركة الاستعمارية في طريق واحد غالباً، المستعمر يغزو البلاد، والمستشرق يغزو الفكر والتراث الإسلامي ٠

٢ ـ صلة الاستعمار بالتبشير:

الصلة وثيقة بين الاستعمار والتبشير، فكلاهما أصحاب هدف واحد، يتعاونان في تحقيقه، ويخدم كل منهما الآخر في الوصول إليه، ويشترك رجال السياسة في المؤتمرات التبشيرية، كما يشترك قادة التبشير في المؤتمرات الاستعمارية السياسية٠ وليس لأحد ممن يتعاطى النظر في أمور الناس في البلاد التي وقعت تحت السيطرة الغربية أن يغفل دور التبشير، ولا أن يتجاهل آثاره، ولا أن يغض النظر عن وسائله، لأنه أقوى العوامل التي مكنت للاستعمار في بلادنا ٠

لقد ظهر التبشير وترعرع وانتشر مع الحروب الصليبية ، ولم يزل إلى يومنا هذا يتتبع الاستعمار في قديمه وحديثه ، ويلازمه أينما سار وتحرك ، بل هو أحيانا الاستعمارُ نفسه لا ملحق به ، يتقدم الاستعمار وقد يتأخر عنه

(١) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: الدكتور/ محمد البهي، ص٤٣ و ٥٣ ٠ نافذة على الاستشراق: الدكتور/ ياسر عبد اللطيف، ص ٦٨ ـ ٧٠ ٠

ويبقى بعد أن يرحل ، وهو لا يقل عن الحروب ، لأنه حرب مستمرة هادئة ، تتمسح بالتعليم تارة وبأعمال الخير تارة أخرى ، وهو في الباطن على عكس ذلك تماما ٠

ولم يعد ثمة شك في ارتباط التبشير المسيحي بالاستعمار ، بعد ما تكشَّف من وثائق ونشرات صدرت عن المبشرين والمستعمرين ، وما سجله المفكرون والأحرار في بلاد الاستعمار :

يقول أحد المبشرين الأمريكان : " لقد تمت محاولات نشيطة لاستعمال المبشرين لا لمصلحة المسيحية ، وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية " ٠

وقال " نابليون الأول " في جلسة مجلس الدولة في ٢٢ مايو سنة ١٨٠٤ م : " إن في نيتي إنشاء مؤسسة الإرساليات الأجنبية ، فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عونا كبيرا لي في آسيا وأفريقيا وأمريكا ، سأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار ، إن ملابسهم تحميهم وتُخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية " ٠

وتُعتبر أفريقيا خير مثال لدراسة ارتباط التبشير بالاستعمار ، وذلك لسببين : أولهما : أن القارة الأفريقية تعرضت لأغلب أنواع الاستعمار على مدى قرون عديدة ٠ ثانيهما : أن أفريقيا ـ كما يقول جاك مندلسون ـ " تعتبر من وجهة النظر الإرسالية هي قلب العالم ، ويرعى أكثر من أربعمائة منظمة كنسية أمريكية نوعا أو آخر من المجهودات الإرسالية " ٠ من أجل ذلك كانت شهادات الأفريقيين في قضية التبشير والاستعمار ، تمثل حججا قوية لا يمكن تجاهلها ٠ وبعد أن اكتشف الأفريقيون العلاقة الوثيقة بين التبشير والاستعمار ، ولمسوا الخديعة التي لحقت بهم ، أدانوا التبشير والمبشرين ، بل والمسيحية كذلك :

يقول " جاك مندلسون " : " حينما تكون حالة الشباب الأفريقيين سعيدة ، فإنهم لا يتعبون من ترديد القصة القديمة : إن المبشرين جاءوا إلينا ، وقالوا

إننا نريد أن نعلمكم العبادة ، وقلنا حسنا ، إننا نريد أن نتعلم العبادة ، وطالب المبشرون منا أن نغلق أعيننا ، وفعلنا ذلك وتعلمنا التعبد ، وحينما فتحنا أعيننا ، وجدنا الإنجيل في يدنا ، ووجدنا أراضينا قد اغتصبت " ٠ وهناك كلمات تكررت بلا توقف في أفريقيا كلها : " إن حركة التبشير المسيحية كانت محاولة لإخماد الروح الأفريقية " ٠

فالتبشير عمل استعماري ، وحين أدانه الأفريقيون لم يجد نفر من المبشرين سوى التسليم بتلك الإدانة ، وقالوا : " إن المبشر مهما اعتقد أن هدفه مختلف عن المكتشف والمستوطن والوكيل التجاري والموظف الإداري ، فإن الأفريقي رأى فيهم جميعا مشروعا مشتركا واحدا " ([١]) ٠

وللمبشرين غرض آخر خفي خلاف هدفهم الظاهري ، وقد يكون هذا الهدف أهم بكثير من التبشير ، ألا وهو بسط سلطان دولهم الثقافي والسياسي والاقتصادي على البلاد التي يذهبون إليها ، وبالتالي عملوا على تأييد الدول التي وفدوا منها واحتضان سياستها ، وتجسسوا على الشعوب التي يعملون بالتبشير فيها لحساب الدول التي يتبعونها سياسيا وعسكريا :

فإيطاليا ([٢]) كانت تبني جميع سياستها الاستعمارية على جهود

---

(١) انظر : بين الإسلام والغرب : الدكتور علي عبد الوهاب ، ص ٢٣٥ و ٢٣٦ ٠ حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر : اللواء أحمد عبد الوهاب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ، مكتبة وهبة (القاهرة) ، ص ١٢٨ ـ ١٣٤ ٠

(٢) إيطاليا : دولة تقع في جنوب أوروبا في شبه الجزيرة الإيطالية على أكبر جزيرتين في البحر الأبيض المتوسط: صقلية وسردينيا٠ تغطي الأراضي الإيطالية مساحة ٣٠١,٣٣٨ كم 2، ويسكن البلاد ٦٠.٢ مليون نسمة، وهي سادس دولة من حيث عدد السكان في أوروبا، وتحل في المرتبة ٢٣ بين الدول الأكثر سكانًا في العالم. كانت الأراضي المعروفة اليوم باسم إيطاليا مهد الثقافات والشعوب الأوروبية، كما كانت العاصمة الإيطالية روما لقرون عديدة المركز السياسي للحضارة الغربية باعتبارها عاصمة للإمبراطورية الرومانية. إيطاليا الحديثة جمهورية ديمقراطية. تُصنف في المرتبة ١٨ عالميًا من بين الدول الأكثر تقدمًا، حيث يحتل معدل جودة الحياة فيها إحدى المراكز العشرة الأولى في العالم. انظر : الموسوعة الحرة ٠

الرهبان والمبشرين ، وكانت ترمي إلى بلوغ أغراضها السياسية في الشرق من خلال زرع البلاد بمدارسها الدينية ، مع أنها كانت قد صادرت أموال الأديرة في إيطاليا نفسها ٠ كما أن فرنسا كانت تستند إلى اليسوعيين ([١]) في مستعمراتها ، وقام اليسوعيون بتحبيب الانتداب الفرنسي إلى النفوس ، وكانت تطرد الرهبان من أرضها ، ثم تحتضنهم في الخارج ليحققوا لها أغراضها الاستعمارية ٠

وقد نصح العسكريون انجلترا ببث مبشريها في العالم ، حتى إن أحد جنرالاتها طلب من الحكومة البريطانية أن ترسل مبشريها إلى شبه الجزيرة العربية بالذات ٠ والولايات المتحدة الأمريكية غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى السلام والسمو الروحاني ، مع أنه تغلب على حياتهم النزعة المادية ، بما تهيأ لهم من ترف وغنى وقوة ، إلا أن المبشر الأمريكي لم يستطع أن يتحرر من نفوذ حكومته وأغراضها ٠

وقد حدث في عهد ستالين ([٢]) ، أن دعت روسيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى عقد مجمع مسكوني في العاصمة الروسية ، وحملت إليه

---

(١) اليسوعيون : الرهبنة اليسوعية هي واحدة من أهم الرهبنيات الفاعلة في الكنيسة الكاثوليكية. تأسست على يد القديس إغناطيوس دي لويولا في القرن السادس عشر، وأخذت على عاتقها مهمة التبشير ونشر الديانة في العالم الجديد .مكثت الرهبنة اليسوعية من أقوى منظمات الكنيسة الكاثوليكية المؤثرة. تتواجد الرهبنة اليسوعية في ١١٢ منطقة جغرافية موزعين على قارات العالم الست، ومركزها الرئيس يقع في روما، وتتبع نمط الإدارة اللامركزية، وتدير أعدادًا كبيرة من المدارس، والجامعات، والمشافي، ودور العجزة، والمكتبات، وتهتم بالحوار المسكوني، والتطوير اللاهوتي، والعدالة الاجتماعية. في ١٣ مارس ٢٠١٣ انتخب أحد أعضاء هذه الرهبنة بابا باسم البابا فرنسيس. انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٢) ستالين : جوزيف فيساريونوفيتش ستالين (١٨٧٨ ـ ١٩٥٣)، القائد الثاني للاتحاد السوفييتي ورئيس الوزراء (١٩٤١-١٩٥٣)، عُرف بقسوته وقوته وأنه قام بنقل الاتحاد السوفييتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي مما مكن الاتحاد السوفييتي من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية والصعود إلى مرتبة القوى العظمى. انظر : الموسوعة الحرة ٠

المشتركين بطائرات روسية ، ولم يفت ستالين أن يتقابل معهم ، ولا شك أن ستالين كانت له أغراضه السياسية في ذلك ، رغم أن روسيا دولة لا تعترف بقداسة الأديان ([١]) ٠

ومما يدل على التعاون الوثيق والرابطة الحميمة بين قوى الاستعمار وكتائب التبشير التنصيرية ، أنه في مؤتمر " أدنبرج " ([٢]) التبشيري المنعقد سنة ١٩١٠ م إشادة واضحة بدور كتائب التنصير في تذليل العقبات التي وقعت حجر عثرة أمام قوى الاستعمار ، فقد جاء في ختام أعمال المؤتمر ما نصه : لما انتهت اللجنة من أعمالها قال اللورد " بلفور " رئيس الشرف : إن المنصِّرين هم الساعد الأيمن لكل الحكومات في الأمور الهامة ، ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيرا من العقبات ، وعلى هذا فنحن في حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المنصرين ، فأجيب اللورد إلى اقتراحه ٠

وفي المؤتمر التنصيري سنة ١٩٢٤ م نوَّه " زويمر " ([٣]) بدور كتائب

---

(١) انظر : التبشير والاستشراق أحقاد وحملات : المستشار محمد عزت الطهطاوي ، ص ١٩ و ٢٠ و ٩٠ ـ ٩٦ ٠

(٢) أدنبرج : عاصمة اسكتلندا في المملكة المتحدة .تعتبر ثاني أكبر المدن الاسكتلندية سكانا، والسابعة على مستوى المملكة المتحدة. تقع في جنوب شرق اسكتلندا، ويقع في المدينة البرلمان الاسكتلندي. وتعتبر المدينة من أهم المراكز أثناء عصر التنوير، واشتهرت عبر جامعة إدنبرة باسم : أثينا الشمال .صنفت اليونسكو كل من البلدة القديمة والحديثة في ادنبرة ضمن مواقع التراث العالمي في عام ١٩٩٥ ٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٣) زويمر : هو القس المبشر المستشرق الأمريكي صموئيل زويمر ، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام ، ناشر كتاب " الإسلام " وهو مجموعة مقالات قُدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة ١٩١١ م بلكنهو في الهند ، وتقديرا لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفا باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين ، وهو منشئ مجلة " العالم الإسلامي " الإنجليزية التبشيرية ، والذي دعا إلى عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير البروتستانت ، للتفكير في أفضل الوسائل اللازمة لتنصير المسلمين ، فعقد مؤتمر القاهرة التبشيري سنة ١٩٠٦ م ٠ جمع القس الأمريكي " فلمنج " موضوعات هذا المؤتمر في كتاب كبير وأصدره تحت عنوان " وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين " ، كما دعا زويمر إلى مؤتمر تبشيري آخر شهير عقد بالقدس سنة ١٩٢٨ م ، جمع فيه خلاصة أعمال

التنصير في التمهيد لقوات الاحتلال ومساعدتها ، وأشاد بذكرهم ، ووجه خطابا إلى المنصِّرين مؤداه : أيها الأبطال والزملاء الذين كُتب لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام ، فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ٠ إن مهمتكم قد تمت على أكمل وجه ، وانتهيتم إلى خير النتائج ، وباركتكم المسيحية ، ورضي عنكم الاستعمار ، فاستمِروا فقد أصبحتم بفضل جهادكم موضع بركات الرب ([1]) ٠

ومن جهة أخرى هيأت السياسة الاستعمارية المناخ اللازم لعمل المبشرين في أرجاء العالم الإسلامي وخاصة أيام الاحتلال ، إذ كانت الدول الاستعمارية تبسط حمايتها على مبشريها في بلاد الشرق ، لأنها تَعدُّهم حملة آرائها وثقافتها إلى تلك البلاد ٠ ولقد أعلن المبشرون في زهوٍ ودون مواربة عن هذه الامتيازات والحمايات التي أفسحت لهم المجال للتبشير بين المسلمين :

يقول أحد القساوسة اليسوعيين في معرض حديثه عن سياسة فرنسا الدينية في الشرق الأوسط : إن الحروب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرون في القرن السابع عشر الميلادي ، لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه ، ولقد احتفظت فرنسا طويلا بروح الحروب الصليبية ، والحنين إلى تلك الحروب التي لا تزال حية في نفسها ٠ وكان من غايات الامتيازات الأجنبية دائما أن تحتفظ فرنسا بالدور الذي يلعبه رهبانها ، وقد اعتُرف لقناصلنا وسفرائنا بالحماية للنصارى ، وكثيرا ما اختارت فرنسا قناصلها وسفراءها من رجال الدين ٠

ومن هنا فإن المبشرين قد نالوا الدعم المادي والمعنوي من السياسة الاستعمارية لتحقيق الأهداف ، وأهمها الهدف العاجل الذي يكْمُن في هدم

المبشرين في العالم الإسلامي ٠ انظر : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر : اللواء أحمد عبد الوهاب ، ص ١٥٨ ـ ١٦٠ ٠ الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم : الدكتور مصطفى السباعي ، ص ٣٨ و ٣٩ ٠

(١) انظر : مخططات التنصير لغزو العالم الإسلامي : الدكتور عادل عبد القادر ، ص ٢٠٨ و ٢١١ ٠

الإسلام في قلوب المسلمين ، وإضعاف تلك الصلة التي تربط المسلم بهذا الدين ، وهذا ما أعلنه المبشرون في تحدٍّ صارخ ومواجهة مستكبرة ٠

التبشير يمثل الركيزة الصلبة التي يعتمد عليها الاستعمار في بسط نفوذه على الشرق الإسلامي ، وتوطيد أقدامه على أرضه ، بعد أن علم أنه لا سبيل له في تحقيق أهدافه وعقيدةُ الإسلام حيةٌ في قلوب المسلمين ، فكان التبشير الخطوة الأولى التي مهدت للاستعمار ، ومكَّنته من الاستيلاء على بلاد المسلمين ، وتسخير أرضها وخيراتها وكثير من أبنائها لخدمة الأغراض الاستعمارية ٠

والاستعمار لم يمانع في استغلال الكنيسة لتحقيق مآربه ، والكنيسة المهزومة لم تمانع هي الأخرى في استغلال الاستعمار لتحقيق مآربها ، لأن الغرب هو الذي صنعها على عينه ، ورضي لها أن تسير في ركابه ([1]) ٠

ويعجب الباحث عندما يرى الكنيسة وكبار رجالها يتناسون مبادئ المسيحية الأصلية ، ويُجنِّدون أنفسهم لخدمة الاستعمار وتحقيق أهدافه ٠ لكن الواقع أن الاستعمار تحالف مع الاستشراق والتبشير ، للوصول إلى أهدافه ، وهي الاستيلاء على العالم الإسلامي سياسيا وحضاريا ، فلم يعمل الاستعمار الحديث ضد العالم الإسلامي منفردا ، وإنما اعتمد على الاستشراق من جانب ، وعلى التبشير من جانب آخر ، وقام هو بجهوده الخاصة من جانب ثالث ٠

ثالثا : صلة الاستشراق بالصهيونية :

أ ـ تعريفٌ بالصهيونية :

الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة ، ترمي إلى إقامة دولة

---

(١) انظر : بين الإسلام والغرب : الدكتور علي عبد الوهاب ، ص ٢٤٠ و ٢٤١ ٠ التبشير الخطر الداهم : الدكتور عبد الكريم بلال ، ص ١٦ ٠ الغزو الفكري وأثره على المجتمع الإسلامي : الدكتور علي عبد الحليم محمود ، ص ١٦٥ ٠ فلسفة التبشير أو إفلاس الكنيسة : الدكتور نوح الغزالي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ، ص ٢٠٧ و ٢٠٨ ٠

لليهود في فلسطين ، تحكم من خلالها العالم كله ، وتتخذ من الدين سبيلا للتأثير على العقول ، وامتلاك النفوس ، ومن دعوى الاضطهاد والدموع سراديب تسلكها إلى العطف العالمي ، شأن المذاهب الخبيثة التي تعطف إليها القلوب بأساليب تبدو طاهرة بريئة ، ثم تنفلت في صمت إلى أغراضها المدمرة ، وأهدافها الرهيبة ٠

واشتُقت الصهيونية من اسم جبل في القدس ([١]) يسمى " صهيون " ، حيث تطمع الصهيونية أن تشيد في هذا المكان الهيكل المزعوم ، وتقيم مملكة لها تكون القدس عاصمتها ٠ وترتبط هذه الحركة بشخصية اليهودي النمساوي " تيودور هرتزل " ([٢]) ، الداعية الأول للفكر الصهيوني ، والذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم ٠

---

(١) القدس (إيلياء ـ بيت المقدس) : يبلغ عمر مدينة القدس نحو ٣٥ قرنا ، وأقدم اسم لها " أورشالم " يعني الإله شالم ، أي إله السلام لدى الكنعانيين ، وورد هذا الاسم في التوراة ، وأطلق على المدينة اسم " يبوس " نسبة إلى اليبوسيين من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية ، وهم سكان القدس الأصليون ، نزحوا مع من نزح من القبائل الكنعانية حوالي سنة ٣٥٠٠ ق٠م ٠ قام أحد الأباطرة الرومان بهدمها ، وأسس مكانها مستعمرة رومانية باسم " إيليا " ، ثم أعاد إليها الإمبراطور قسطنطين اسم " أورشليم " ، وقد تم فتحها على يد سيدنا عمر بن الخطاب سنة ١٥ هـ ، وأخذت في العهد الإسلامي اسم " بيت المقدس " و " القدس " ٠ انظر : معجم بلدان فلسطين : مُحَمَّد مُحَمَّد حسن شراب ، الطبعة العربية الثانية ، ٢٠٠٠ م ، الأهلية للنشر والتوزيع (عمان ـ الأردن) ، ص ٥٩٦ و ٥٩٧ ٠

(٢) تيودور هرتزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) : صحفي يهودي نمساوي مجري، مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة. ولد في بودابست وتوفي في إدلاخ بالنمسا. التحق هرتزل مباشرة بكلية القانون حتى حصل على الدكتوراه سنة ١٨٨٤، ثم توجه إلى الأدب والتأليف بداية من سنة ١٨٨٥٥ ، كما اشتغل بالصحافة حيث عمل في باريس كمراسل من ١٨٩١ إلى ١٨٩٦. أصبح هرتزل يفكر في المشكل اليهودي وفي ضرورة ايجاد حل غير الاندماج والانصهار في مجتمعات أوروبا الشرقية والغربية، والحل ـ من وجهة نظره ـ كان في الكتيب الذي انتهى من تأليفه يوم ١٧ يونيو ١٨٩٥ والذي نشر سنة ١٨٩٦ تحت عنوان، الدولة اليهودية، هذا الكتيب وضع حجر الأساس لظهور الصهيونية السياسية وتأسيس الحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية بين ٢٩ و ٣١ أغسطس ١٨٩٧ وانتخاب هرتزل رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

والصهيونية قديمة قدم التوراة نفسها ، وهي التي أججت الروح القومية عند اليهود منذ أيامها الأولى ، وحركة " هرتزل " إنما هي تجديد وتنظيم للصهيونية القديمة، التي قامت واستمدت فكرها ومعتقداتها من تعاليم التوراة المحرفة والتلمود ٠

فللصهيونية جذور تاريخية قديمة وحركات تبنَّت أفكارها وسياستها ، منها : حركة " المكابيين " ([1]) التي أعقبت العودة من السبي البابلي (٥٨٦ . ٥٣٨ ق م) ، وأول أهدافها العودة إلى صهيون وبناء الهيكل ٠ حركة هذا اليهـودي " باركو خبا " (١١٨ . ١٣٨ م) ، الذي أثار الحاسة في نفوس اليهود ، وحثَّهم على التجمع في فلسطين وتأسيس دولة يهودية فيها ٠ حركة هذين اليهوديين " دافيد روبين " وتلميذه " سولومون مدلوخ " (١٥٠١ . ١٥٣٢ م) ، اللذين حثا اليهود على ضرورة العودة لتأسيس ملك إسرائيل في فلسطين ٠ حركة صهيونية عنيفة قامت إثر مذابح اليهود في روسيا سنة ١٨٨٢ م ، وفي هذه الفترة ألَّف " هيكلر " الجرماني كتابا بعنوان " إرجاع اليهود إلى فلسطين حسب أقوال الأنبياء " ٠ الحركة الصهيونية الحديثة المنسوبة إلى الصحفي اليهودي النمساوي " هرتزل " (١٨٦٠ . ١٩٠٤ م) ، وهدفها قيادة اليهود إلى حكم العالم ، بداية بإقامة دولة لهم في فلسطين ، ونجح في عقد أول مؤتمر صهيوني عالمي سنة ١٨٩٧ م ، جمع فيه يهود العالم حوله ، وصدرت عنه أخطر قرارات في تاريخ العالم وهـي " بروتوكولات حكماء صهيون " ، المستمدة من كتب اليهود المحرفة التي يقدسونها ٠

---

(١) المكابيون : هي حركة سياسية دينية يهودية ، قادها في القرن الثاني قبل الميلاد يهوذا المكابي ، وهي مجموعة عسكرية قامت بثورة على حكام سوريا السلوقيين ، وتمكَّنوا من تكوين السلالة الحشمونية التي حكمت فلسطين من ١٦٤ ق . م وحتى ٦٣ ق . م قبل وقوعها في يد بومبي الروماني ٠ اشتهر المكابيون بعصبيتهم الدينية حيث ركزوا على دور الديانة اليهودية في الحياة اليومية ٠ تروي الترجمة السبعينية للكتاب المقدس تاريخ المكابيين في سفري المكابيين الأول والثاني بما يسمى بالأسفار القانونية الثانية (رفض اعتمادها معظم اليهود وجميع البروتستانت) ٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

ومن أفكار ومعتقدات هذه الحركة : تعتبر الصهيونية جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة هي الجنسية الإسرائيلية ، وهم العنصر الممتاز الذي يجب أن يسود ، وكل الشعوب الأخرى خدم له ٠ تهدف الصهيونية إلى سيطرة اليهود على العالم كما دعاهم إلههم يهوه ، وتعتبر المنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم على أرض الميعاد ، التي تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات ٠

ومن وسائلهم للوصول إلى هدفهم : إغراق الأممين في الرذائل ، واستخدام الرشوة والخديعة والخيانة ، والمناداة بشعارات " الحرية والمساواة والإخاء " ، لينخدع بها الناس ، وينساقوا وراء ما يريدون ، والسيطرة على المال والإعلام ، تلك القوة الفعالة التي تُوجِّه العالم نحو ما يريدون ، وكذلك السيطرة على الحكَّام ، وتوسيع الشقة بينهم وبين شعوبهم ، وافتعال الأزمات الاقتصادية ، والسيطرة على الصناعة والتجارة وكل دور النشر ،والإكثار من المحافل الماسونية ([١]) التي تنشر أفكارهم ([٢]) ٠ تلك كانت إطلالة

---

(١) الماسونية : أخطر الجمعيات السرية في العالم ، ويطلقون عليها " البناءون الأحرار " ، ولا أعرف جمعية فعلها نقيض اسمها أكثر من الماسونية ، فالفعل الذي تنفِّذه هذه الجمعية سداه الهدم ولحمته التخريب والعبودية ٠ والماسونية حركة يهودية هدفها القضاء على الأديان والعقائد والأخلاق والمجتمعات الإنسانية ، تمهيدا لتسلط دولة اليهود على العالم ٠ أو هي دعوة سياسية من منطلقات يهودية ، تعمل لتحقيق مزاعم بني إسرائيل في العودة إلى ما يقولون عنه إنه أرض الميعاد ، وذلك لإعادة بناء هيكل سليمان ٠ أو هي حركة تنظيمية خفية ، قام بها ـ على الأرجح ـ حاخامات اليهود ، خاصة في مراحل الضياع السياسي الذي تعرض له يهود العالم القديم ، فأخذ هؤلاء على عاتقهم إقامة تنظيم يهودي يهدف إلى إقامة مملكة اليهود العالمية ٠ انظر : جذور البلاء : عبد الله التل ، ص ١١٦ ٠ الماسونية نشأتها وأهدافها : الدكتور أسعد السحمراني ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت) ، ص ١٧ ٠ دراسات في التيارات المعاصر

(٢) العلمانية الوجودية الماسونية الواقعية : الدكتور عادل مُحَمَّد مُحَمَّد درويش والدكتور أحمد عبد المبدي أحمد وآخرون ، ص ٨٩ و ٩٠ ٠

(٢) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٧ ٠ الاستعمار أحقاد وأطماع : الشيخ مُحَمَّد الغزالي ، الطبعة السادسة ، ٢٠٠٨ م ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) ، ص ١٦٨

خاطفة على تعريف الصهيونية ، وجذورها التاريخية ، وأهم رجالاتها وأفكارها

ب . صلة الصهيونية بالاستشراق :

لليهود والصهيونية العالمية أصابع وبصمات واضحة في مجال الاستشراق والتبشير ، هذين السلاحين الجبَّارين اللذين وُجِّها ضد الإسلام والمسلمين في القرنين التاسع عشر والعشرين ٠

ولقد بدأت علاقة اليهود الصهاينة بالاستشراق منذ مولده في بلاد الأندلس ، حيث اطمأن اليهود إلى تسامح الحكام المسلمين بعد اضطهاد عنيف لهم ، فأقبلوا على اللغة العربية قواعد ومفردات وعروضا ، ينحون نحوها ويوازنون بها لغتهم لتحقيق تطورها التاريخي ، ويفيدون من علم الكلام في إرساء الدراسات التلمودية ٠

والظاهر أن المستشرقين اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية ، وهي محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام ، وذلك من خلال الادعاء بأن اليهودية مصدر الإسلام الأول ، ولأسباب علمية تبغي إقناع غيرهم بإسقاط الأمة العربية من مكانها التاريخي ودورها العلمي وواقعها الحضاري ، وأقاموا العلوم وفق مناهج تتكاتف لتقود الإنسان متعاونة متساندة إلى الإلحاد ، وربَّوا أو حاولوا تربية أجيال بعيدة عن الإيمان ، ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولا ثم دولة ثانيا ٠

وكان لكثير من اليهود دور كبير في حركة الاستشراق قديما وحديث ، وليس من قبيل المصادفة أن يكون أكبر المستشرقين منذ أوائل القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو اليهودي " جولد تسيهر " ([1]) ، الذي

---

٠ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، ج ١ ص ٥٤٧ ٠

(١) جولد تسيهر : جناتس جولدتسيهر (1340 – 1266 هـ / ١٨٥٠ – ١٩٢١ م) ، مستشرق يهودي مجري. يُعتبر على نطاق واسع من بين مؤسسي الدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا .تلقى تعليمه في جامعة بودابست، برلين، لايدن ، وكان أول يهودي في العالم يصبح أستاذا في جامعة بودابست

كرَّس حياته للطعن على الإسلام ونبيه وقرآنه ، بأسلوب تنبعث منه أحقاد اليهود ومكرهم وخبثهم * ٠ والمستشرق اليهودي العالمي " بروكلمان ([١]) " لم يُخفِ في دراساته الأكاديمية أن محمدا " صلى الله عليه وسلم " دعيٌّ وليس بنبي ، وأن ما دعا إليه مقتبس من الأنبياء السابقين وعادات الأمم ، ويخرج بنتيجة هي أن محمدا " صلى الله عليه وسلم " لم يكن إلا شخصا عاديا ، وأن دينه لم يقم إلا بحد السيف ٠ وكذلك يفعل المستشرق اليهودي " صموئيل مرجليوث " ([٢]) ، الذي نشر في سنة ١٩٢٥ م رأيه عن الشعر الجاهلي ،

(١٨٩٤)٠ بدأ رحلة عبر سوريا وفلسطين ومصر، واستغل الفرصة لحضور محاضرات المشايخ المسلمين في مسجد الأزهر في مدينة القاهرة . يعدُّه المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوي ، وهو أول مستشرق قـــــام

بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي ، حيث ألَّف الكتب وكتب المقالات بهدف الطعن في السنة النبوية ٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

* ليس من قبيل المصادفة كذلك ، أن يكون أكبر المبشرين وأخطرهم طوال النصف الأول من القرن العشرين ، هو اليهـــودي " صموئيل زويمر " ، الذي كان يدير عملية الغزو التبشيري في ديار الإسلام كلها ٠ انظر : جذور البلاء: عبد الله التل ، ص١٩٨ ٠

(١) بروكلمان : كارل بروكلمان (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦)، مستشرق ألماني، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، ودرس السريانية، والآرامية الكتابية، وأتقن العبرية، ودرس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية)، ودرس على يدي المستشرق ثيودور نولدكه ، الذي كلفه بالقيام بدراسة عن العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري.اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي وله في هذا المجال كتاب مشهور (تاريخ الشعوب الإسلامية)، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي .ومن أشهر مؤلفاته كتاب تاريخ الأدب العربي الذي تُرجم في ستة مجلدات، وفيه رصد لما كُتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات ووصفها ومكان وجودها ٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٢) صموئيل مرجليوث : ديڤيد صمويل مرجليوث (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠)، إنجليزى يهودى، من كبار المستشرقين٠ بدأ حياته العلمية بدراسة اليونانية واللاتينية ثم اهتم بدراسة اللغات السامية فتعلم العربية، وكان أستاذا لتدريس اللغة العربية في جامعة أكسفورد من 1889 إلى.1937 انتخب عضوًا في المجمع العربي العلمي بدمشق، والمجمع اللغوي البريطاني والجمعية الشرقية الألمانية وغيرها. وهو أحد الذين كتبوا دائرة المعارف الإسلامية ، ومن مؤلفاته : "التطورات المبكرة في الإسلام"، و"مُحَمَّد" و"مطلع الإسلام"، و"الجامعة الإسلامية"

والتشكيك في مصادره ، وخرج برأي يشكك في إعجاز القرآن الكريم ٠ ولا يقل عنهم خطورة المستشرق اليهودي " فنسنك " ([١]) رئيس تحري دائرة المعارف الإسلامية ، التي وُضعت بأقلام المستشرقين اليهود والمبشرين من أصل يهودي ، فجاءت مليئة بالمطاعن على الإسلام ونبيه والمسلمين وقرآنهم ٠ والمستشرق "بندلي جوزي ([٢])" الذي أصدر في القدس سنة ١٩٣٨ م كتابا بعنوان "الحركات الفكرية في الإسلام" ، ويمكن اعتبار هذا الكتاب أحد المصادر الأساسية للمدرسة المادية في فلسفة أحداث التاريخ الإسلامي ([٣]) وعَمَلُ الكثير من اليهود في مجال الاستشراق ، إنما كان الهدف منه تحقيق

وكتابه عن الإسلام، والعلاقات بين العرب واليهود. ولكن هذه الكتابات اتسمت بالتعصب والتحيز وعدم التوثيق والبعد الشديد عن الموضوعية ٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

(١) فِنْسِنْك : أرند جان فِنْسِنْك (١٢٩٩ ـ ١٣٥٨ هـ / ١٨٨٢ـ ١٩٣٩ م)، مستشرق هولندي. تتلمذ على يد المستشرق هوتسما وسخاو. حصل على الدكتوراه في بحثه (مُحَمَّد واليهود في المدينة) عام ١٩٠٨ ، بدأ في عمل معجم مفهرس لألفاظ الحديث الشريف مستعيناً بعدد كبير من الباحثين وتمويل من أكاديمية العلوم في أمستردام ومؤسسات هولندية وأوروبية أخرى. وأصدر كتاباً في فهرسة الحديث ترجمه مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي بعنوان (مفتاح كنوز السنة)، له مؤلفات عديدة منها كتاب في العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي. انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٢) بندلي جوزي (١٨٦٨ ـ ١٩٤٤ م) : لغوي ومؤرخ عربي ، ولد في القدس ونشأ بها ، وهاجر شابا إلى روسيا حيث أتم دراسته متخصصا في الدراسات الشرقية واللغات السامية ، وظل محاضرا في جامعتي قازان وباكو إلى أن توفي ، أشهر مؤلفاته " الحركات الفكرية في الإسلام " ١٩٣٨ م ، وترجم كتاب " الأمومة عند العرب " عن ديلكن الهولندي ٠ انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ص ٧٨٠ ٠

(٣) انظر : الاستشراق بين الجحود والإنصاف : الدكتور عبد الله سمك ، ص ٨٩ و ٩٠ ٠ جذور البلاء : عبد الله التل ، ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ ٠ التبشير والاستشراق أحقاد وحملات : المستشار عزت الطهطاوي ، ص ٥٥ * الواقع أنه لم تنته الحرب العالمية الأولى ، حتى كان العالم العربي قد خضع بأسره للحكم البريطاني الفرنسي الإيطالي ، وتم توزيع التركة فيما بينهم ٠ وبموجب اتفاقية " سان ريمو" التي عُقدت بين فرنسا وبريطانيا سنة ١٩٢٠ م ، أصبحت فلسطين والأردن والعراق تحت الانتداب ، ومصر تحت الحماية البريطانية ٠ انظر : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى : جوزيف نسيم يوسف ، ١٩٨٣ م ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع (الإسكندرية) ، ص ١٠٨ و ١٠٩ ٠

أحلامهم في إقامة دولتهم الصهيونية المزعومة من النيل إلى الفرات ٠

ج ـ صلة الصهيونية بالتبشير :

لقد أثبت التاريخ والواقع والأحداث التي كان مسرحها العالم العربي منذ القدم حتى يومنا هذا ، أن كلا من الحركة الصليبية والحركة الصهيونية في فلسطين ، إنما تُمثِّل حلقة من حلقات الاستعمار الذي تعرضت له المنطقة العربية على مر العصور ٠ وكانت التجربة الأولى هي التجربة الصليبية ، والتجربة الثانية هي التجربة الصهيونية ، وهذه حقيقة كشفت عنها البحوث التاريخية ٠

فالغربيون لم يتخلوا إطلاقا عن أطماعهم ، بل كانوا يتحينون الفرص والظروف المواتية لنشب أظفارهم من جديد في البلدان العربية ، والحلم القديم من أجل غزو فلسطين وتفتيت وحدة العرب ، ظل مطويا منذ الحروب الصليبية ، إلى أن تمكنت القوات المتحالفة من دخولها في سنة ١٩١٧ م ، تلك السنة التي امتازت بوعد بلفور المشئوم بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، فأحيت تلك القوات بذلك الروح الصليبية القديمة ولكن في ثوب جديد * ٠

ولا نجافي الحق إذا قلنا إن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، امتداد للفكرة الصليبية نفسها ، وفصلٌ من فصولها المتتابعة ، وإن الصلة وثيقة بين الحركة الصليبية التي قامت منذ حوالي تسعمائة عام ، والاستعمار الصهيوني الغربي الجديد ضد العالم العربي في عصرنا الحديث (١) ** ٠

---

(١) انظر : نفس المرجع ، ص , ١٠٨ ـ ١١٠ ٠

** يؤكد " يوجين روستو " رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس " جونسون " في الستينات ، الصلة الوثيقة بين الحرب الصليبية القديمة والحرب الصهيونية الحديثة ودور أمريكا في دعمها ، بقوله : " لا تستطيع أمريكا إلا أن تقف في الصف المعادي للإسلام ، أي إلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية ، لأنها إن فعلت غير ذلك تنكرت للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها ٠ إن هدف العالم الغربي في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية ، وإن قيام إسرائيل جزء من هذا المخطط ، وليس إلا استمرارا للحرب

والصلة بين الصهيونية اليهودية والتبشير المسيحي وثيقة وقديمة ، ومنذ ظهور حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر استطاعت الفكرة اليهودية أن تجد طريقا لها داخل الكنيسة نفسها ، فقد نشر " مارتن لوثر " زعيم حركة الإصلاح الديني ، ورائد المذهب البروتستانتي كتابا في عام ١٥٢٣ م باسم " عيسى ولد يهوديا " ، قال فيه : إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم ، وإن اليهود هم أبناء الله ، ونحن الضيوف الغرباء ، ولذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها ، كالمرأة الكنعانية تماما ٠

والأدبيات اليهودية التي تسربت إلى صميم العقيدة النصرانية آنذاك تدور حول أمور ثلاثة : الأول : أن اليهود هم شعب الله المختار ٠ الثاني : أن هناك ميثاقا إلهيا يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين ٠ الثالث : ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة يهودية ، أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم ٠ هذه المعتقدات الدينية المسيحية أصبحت جزءا من عقيدة الكنيسة البروتستانتية ومن جوهر طقوسها ٠ ونجح اليهود في إقناع المسيحيين بأنهم أقرب الناس إليهم ، وتم الاتفاق على ضم التوراة إلى الإنجيل ، ويسمى الاثنان بالكتاب المقدس ، وبذلك أفلح اليهود في جعل المسيحيين تبعا لهم ، يأتمرون بأمرهم في أمور الدين ، فتسلطوا عليهم في أمور الدنيا٠

وكان أول تحالف رسمي بين اليهود والمسيحيين سنة ١٥٠٥ م ، وذلك بهدف القضاء على الكيان الإسلامي العدو المشترك لهما ، فقد كتب اليهودي " دافيد روبنس " مشروعا وقدمه إلى البابا ، فحواه : احتلال العالم الإسلامي ، وانتزاع الأرض المقدسة من المسلمين ، واحتلال اليهود لفلسطين ٠ وقدَّم اليهود . بموجب هذا التحالف . إلى الدول الأوربية المسيحية كل ما

الصليبية " ٠ انظر : الغزو الثقافي يمتد في فراغنا : الشيخ محمد الغزالي ، ص ٤٢ ٠

عرفوه عن المسلمين من مواطن القوة والضعف ، فسهل على الدول الأوربية بذلك ابتلاع الدول الإسلامية دولة بعد دولة ٠

ولا يفوتني بهذه المناسبة ، أن أذكر ما جرى في الفلبين ([١]) من إبادة جماعية للمسلمين ، بفعل تحالف إسرائيلي مسيحي جمعته أهداف واحدة لإبادة المسلمين في تلك البلاد :

فلقد زارت " جولدا مائير " ([٢]) جزر الفلبين سنة ١٩٦٤ م بوصفها وزيرة لخارجية إسرائيل ، واجتمعت بزعماء الفلبين المسيحيين ، وانتهت معهم إلى اتفاق موجز ، نصوصه ما يلي : تقوم إسرائيل بمساعدة الفلبين بمعونات مادية ومعنوية ، وفي مقابل ذلك يعمل المسيحيون بكل طاقاتهم على امتلاك الأراضي الإسلامية في جنوب البلاد ، والتي يغلب فيها العنصر الإسلامي ، ويتسلم رئيس الجمهورية عشرة ملايين دولار ، مساعدة من إسرائيل مقابل تلك الصفقة ، كما أرسلت إسرائيل شحنة من الأسلحة ، سُلِّمت جميعها إلى عصابة " إبلاجوس " التي تمارس قتل المسلمين بالجملة وتشريدهم ٠

---

(١) الفلبين : جمهورية الفلبين جمهورية دستورية تقع في جنوب شرق آسيا غرب المحيط الهادي .عبارة عن أرخبيل مكون من ٧١٠٧ جزيرة٠ مانيلا هي العاصمة، بينما المدينة الأكثر كثافة بالسكان هي كيزون، ويقدر عدد سكان الفلبين بحوالي ٩٢ مليون شخص، مما يضعها في المرتبة ١٢ عالميا حسب التعداد السكاني. احتفظت الولايات المتحدة بالسيادة على الجزر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عندما نالت الفلبين استقلالها. انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٢) جولدا مائير(١٨٩٨ ـ ١٩٧٨ م) : وُلدت جولدا مائير في مدينة كييف بأوكرانيا ، وانضمّت إلى منظمة العمل الصهيونية في عام1915 م ، وقامت بالهجرة إلى فلسطين وبصحبة زوجها موريس مايرسون في عام1921 م .انتقلت جولدا إلى مدينة تل أبيب في عام1924 م ، وعملت في مختلف المهن قبل أن يتمّ انتخابها في الكنيست الإسرائيلي في عام1949 م .عملت جولدا كوزيرة للعمل في الفترة 1949 إلى1956 م وكوزيرة للخارجية في الفترة 1956 إلى1966 م. وبعد وفاة رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي اشكول في فبراير1969 ، تقلّدت جولدا منصب رئيس الوزراء إلى سنة ١٩٧٤ . انظر : الموسوعة الحرة ٠

وكما حقق اليهود هدفهم الأكبر وهو الاستيلاء على فلسطين ، كان تأسيس دولة إسرائيل أمرا مقررا عند المبشرين ، بدليل أن المبشر " جون فان أس " ذكر حدودها سنة ١٩٤٣ م ، بأنها ستُأَلَّف من معظم أراضي اليهود (الجليل) جنوبا ، إلى خليج العقبة ثم أراضي شرق الأردن ([١]) ٠ يضاف إلى ما سبق أن إرساليات التبشير كانت تعمل على تهيئة الطلاب العرب في فلسطين ، ليقبلوا بنزول اليهود في الأراضي المقدسة ٠

وقد أقر اليهود الصهاينة بفضل المبشرين والصليبيين ، فها هي " بربارة توخمان " (يهودية أمريكية) ألَّفت كتابا سمته " التوراة والسيف " ، ذكرت في مقدمته : وهكذا دخل الجنرال " اللنبي ([٢]) " إلى القدس عام ١٩١٨ م ، فنجح حيث كان " ريتشارد " قلب الأسد قد أخفق ، ولولا الانتصار من جانب اللورد " اللنبي " ، لما كانت إعادة إسرائيل الآن ، وكذلك لم يكن بإمكان اللورد " اللنبي " أن ينجح لولا محاولة " ريتشارد " القديمة ٠

وحقد المبشرين على الإسلام ، دفع بهم إلى التجسس خدمة لإسرائيل ، ولقد نشرت مجلة الشرطة والأمن العام بدمشق ([٣]) سنة ١٩٥٣ م مقالا عن

---

(١) الأردن : مملكة عربية تقع في الضفة الشرقية لنهر الأردن غربي آسيا ٠ تحدها الأقطار العربية التالية : سوريا ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، وفلسطين ٠ عاصمتها عمَّان ٠ وسمي الأردن بهذا الاسم نسبة إلى نهر الأردن ٠ دولة عربية إسلامية دستورية ، ونظام الحكم فيها ملكي وراثي ٠ انظر : الموسوعة العربية العالمية ، الطبعة الثانية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع (الرياض) ، ج ١ ص ٤٧٩ ٠

(٢) اللنبي : إدموند هنري هاينمان اللنبي (١٨٦١ ـ ١٩٣٦)، ضابط وإداري بريطاني٠ ولد اللنبي في أسرة لها قدر من الثراء ذات ارتباط بالكنيسة الإنجيلية الشرقية ، وتخرج من الكلية العسكرية الملكية في ساندهيرست 1881 ، ثم التحق بعد ذلك بكلية الأركان في كامبرلي بانجلترا، واشتهر بدوره في الحرب العالمية الأولى حيث قاد قوة للاستيلاء على فلسطين وسوريا عامي1917 و١٩١٨. وبعد تقاعده ١٩٢٥ عن العمل كمندوب سامي في مصر عاد إلى إنجلترا ممارساً هواياته ، وقضى فترة وجيزة كرئيس جامعة أدنبرة ، وتوفي في 14 مايو 1936 عن عمر يناهز ٧٥ سنة ٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٣) دمشق : عاصمة الجمهورية العربية السورية، وهي أحد أقدم مدن العالم ، حيث تأسست منذ أحد عشر

داعية ومبشر أمريكي ، اسمه " والف باني " يَدَّعي أنه يدير جمعية للتقارب المسيحي ، مع أن اسم جمعيته الحقيقي جمعية التقارب المسيحي اليهودي ، ويعمل على مساعدة اليهود والدسِّ على العرب ، والتجسس عليهم وتشويه سمعتهم ، مع أنه كان يرتدي ثياب المبشرين ([1]) ٠

فإذا كان اليهود قد تمكنوا . من خلال غزو الفكر المسيحي في الماضي . من العمل على إيجاد رؤى وأفكار تدعم هدفهم من منطلق ديني بحت ، فإن الحركة الاستشراقية منذ القرن الثامن عشر الميلادي كانت مجالا رحـــبا ،

نفذ اليهود من خلاله بآراء تؤكد أحقية إسرائيل في البقاء في فلسطين قلب العالم الإسلامي ، وإقامة دولتهم الصهيونية التي تحكم العالم أجمع ٠

رابعا : صلة الاستشراق بالتغريب :

أ . تعريف التغريب :

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية ، تبين أن التغريب مأخوذ من مادة " غ ر ب " ، وأفعالها في اللغة العربية تدور حول المعاني الآتية :

غَرَب : غربت الشمس تغرب غروبا : غابت في المغرب ، وكذلك

ألف عام تقريبًا، وأقدم مدينة عاصمة في العالم 0 أصبحت عاصمة منطقة سوريا منذ عام ٦٣٥ م ٠ تُعرف أيضًا بأسماء عديدة منها الشام ومدينة الياسمين؛ وقد احتلت مكانة إقليمية بارزة على صعيد الفنون، والآداب، والسياسة؛ وحظيت باهتمام الأدباء والشعراء والرحالة ، ونُظم في وصفها العديد من النصوص الشعريّة والأدبيّة، منها ما كتبه ياقوت الحموي : " ما وصفت الجنة بشيء ، إلا وفي دمشق مثله " ٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

(١) انظر : معركة التبشير والإسلام : حركات التبشير والإسلام في آسيا وأفريقيا وأوربا : الدكتور عبد الجليل شلبي ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م ، مؤسسة الخليج العربي (القاهرة) ، ص ٣٠٦ ٠ التبشير والاستشراق أحقاد وحملات : المستشار عزت الطهطاوي ، ص ٩٨ و ١٠٠ ـ ١٠٣ و ١٠٩ ٠ نافذة على الاستشراق : الدكتور ياسر عبد اللطيف ، ص ٨٠ و ٨١ ٠

غرب النجم ٠ غرب فلان : غاب ٠ و ـ القومُ : ذهبوا ٠ و ـ عنه : تنحَّى ٠ و ـ فلانٌ غرْبا وغُربة : بَعُد عن وطنه ٠ و ـ الكلامُ غرابة : غمض وخفي فهو غريب ، والجمع غرباء ٠ وغَرِب الشيءُ غَرَبا : اسود ٠ و ـ العينُ : ورمت مآقيها ٠

غَرَّب : غَرَّب القومُ : ذهبوا ناحية المغرب ٠ و ـ في الأرض : أمعن فيها ، فسافر سفرا بعيدا ٠ و ـ الكلابُ : أمعنت في طلب الصيد ٠ و ـ المرأةُ السمراء : أتت ببنين بيض ٠ و ـ الدهرُ فلانا : تركه بعيدا ٠

أغرب : أتى الغرب ٠ و ـ الرجلُ : جاء بشيء أو كلام غريب بعيد عن الفهم ، أو اشتد وجعه ، أو ارتحل ، أو صار غريبا ٠ وأغربتُ السقاء : ملأته ٠ وأغْربه : نحَّاه ٠ وتَغرَّب فلانٌ : أتى من قبل المغرب ، أو نزح عن الوطن ٠ واغترب الرجل : نكح في الغرائب ، وتزوج إلى غير أقاربه ٠ واستغرب : أكثر من الضحك وبالغ فيه حتى تبدو غروب أسنانه ٠ و ـ الدمعُ : سال ٠ و ـ الشيءَ : وجده أو عدَّه غريبا ٠

ومن معاني مشتقات هذه المادة في الأسماء : الغَرْب : خلاف الشرق ، وهو المغرب ٠ وقوله تعالى " رب المشرقين ورب المغربين " ([١]) ، أحد المغربين : ما تنتهي إليه الشمس في الصيف ، والآخر : أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء ٠ وقوله تعالى : " فلا أقسم برب المشارق والمغارب " ([٢]) ، معناه أنها تشرق كل يوم من موضع ، وتغرب في موضع ، إلى انتهاء السنة ، وقيل : أراد مشرق كل يوم ومغربه ٠

الغَرْب : جهة غروب الشمس ، والبلاد الواقعة فيه ، وهي ما تقابل بلاد الشرق ٠ والذهاب والتنحي عن الناس ٠ والنشاط والتمادي في الأمر ٠ والحِدَّة من كل شيء ٠ وفرس غرْب : كثير العَدْو ٠ والغَرْب الذهاب والتنحي ٠

---

(١) سورة الرحمن : الآية ١٧ ٠

(٢) سورة المعارج : الآية ٤٠ ٠

ويقال : أصابه سهم غَرْب : لا يدري راميه ٠ والجمع غروب ، والغروب : غيوب الشمس ٠ والدموع حين تخرج من العيون ٠

المَغْرِب : في الأصل موضع الغروب ، ثم استعمل في المصدر والزمان ، وقياسه الفتح ، ولكن استعمل بالكسر كالمشرق والمسجد ٠ والمغرب : مكان غروب الشمس ، وزمان غروبها ، وجهة غروبها ٠

المُغَرِّب : الذي يأخذ في ناحية المغرب ٠ وهل من مُغَرِّبة خبر : هل من خبر جديد جاء من بلد بعيد ٠ والغَرْبة : البعد عن الوطن ، ومن هذا الباب غروب الشمس ، كأنه بُعدُها عن وجه الأرض ٠

الغريب : غير المعروف والمألوف ، والغامض من الكلام ، والبعيد عن وطنه ، والرجل ليس من القوم ولا من البلد ٠ والغُرْبة : النوى والبعد ٠ والتغريب : البُعْد والنفي عن البلد ، وأن يأتي ببنين بيض وبنين سود ٠ والغرباء : الأباعد ٠ وغراب الفأس : حَدُّها ٠

الغارب : ما بين العنق والسنام ، وهو الذي يلقي عليه خطام البعير إذا أرسل ليرعى حيث شاء ، ثم استعير للمرأة وجعل كناية عن طلاقها ، فقيل لها حبلك على غاربك ، أي اذهبي حيث شئت كما يذهب البعير ٠ والغارب : أعلى كل شيء ، والكاهل ٠ والإغراب : الإتيان بالغريب ، والملء ، وكثرة المال ، وحسن الحال ، وإكثار الفرس من جريه ، والمبالغة في الضحك ، والإمعان في البلاء ٠

الغَرَب : ضرب من الشجر تُسوَّى منه السهام ، وداء يصيب الشاة تتساقط منه شعر خطمها وعينها ، ويقال بعينيه غَرَب : إذا كانت تدمع ولا ينقطع دمعها ٠ الغربيب : شديد السواد ٠ الغربي : المنسوب إلى الغرب ٠ وبلاد المغرب : البلاد الواقعة في شمال أفريقية وغرب مصر ([1]) ٠

---

(١) انظر : لسان العرب : الإمام ابن منظور ، ج ٦ ص ٥٨٦ ـ ٥٩٠ ٠ الصحاح : الإمام إسماعيل الجوهري ، ص ٨٤٠ ـ ٨٤٢ ٠ القاموس المحيط : الإمام الفيروز آبادي ، ج ١ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ ٠ مقاييس اللغة :

فالتغريب في اللغة يدور حول المعاني الآتية : الغياب ، والذهاب ، والبُعْد ، والتنحي ، والغموض والخفاء ، وشدة السواد ، والحَدُّ والحِدَّة ، والمبالغة في الضحك ، وكثرة العَدْو ، وجريان الريق ، والامتلاء ، وزمان ومكان وجهة الغروب ، وكل بلاد موقعها في جهة الغرب بالنسبة إلى غيرها ، كبلاد أوربا بالنسبة إلى بلاد العرب ٠

وكل هذه المعاني اللغوية لا تخرج عن إطار تيار التغريب وأهدافه التي منها : تغييب هذه الأمة ، وإبعادها عن مصدر عزها وشرفها ، وتنحيتها عن صدارتها للأمم ، والإمعان في إذلال المسلمين ، بأسلوب يلفُّه الغموض والسواد ، ويُكثر التغريب من العَدْو نحو تحقيق هذا الهدف ، ويسيل لعابه ويبالغ في الضحك والسخرية عند تحققه ، وامتلاءِ الشرق الإسلامي بالشهوات والشبهات وعادات وتقاليد الغرب ٠

ولقد تعددت آراء الباحثين حول المفهوم العلمي لمصطلح التغريب ، منها :

١ ـ التغريب هو تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية ، يرمي إلى صبغ حياة الأمم عامة والمسلمين خاصة بالأسلوب الغربي ، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة ، وخصائصهم المنفردة ، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية ٠

٢ ـ التغريب هو محاولة طبع البلاد العربية بالقيم والعادات والتقاليد والحضارة الأوربية الغربية والأمريكية ٠ أو هو محاول طبع المستعمرات الآسيوية والأفريقية عامة والإسلامية خاصة بطابع الحضارة الغربية ، وذلك توصلا إلى طبع النفسية والعقلية بهذا الطابع عن طريق انطباع الظاهر ٠

٣ ـ التغريب مصطلح استعمله الاستشراق الغربي ، للتعبير عن الخطة

الإمام أحمد بن فارس ، ص ٧٠٨ و ٧٠٩ ٠ المصباح المنير : الإمام أحمد الفيومي ، ص ٢٦٤ ٠ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، ج ٢ ص ٦٧٠ و ٦٧١ ٠

التي تقوم بها القوى ذات النفوذ السياسي الخارجي في حمل العالم الإسلامي على الانصهار في مفاهيم الغرب وحضارته ، والعمل على إخراج المسلمين مـن

هويتهم الإسلامية ، التي أقامها الإسلام من خلال مجتمعهم وكيانهم ووجودهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وصهرهم في بوتقة الغرب ٠

٤ . التغريب هو حمل المسلمين والعرب على قبول ثقافة الغرب والخضوع لنفوذه وسلطانه ، وقبول الاحتواء في بوتقته ، بحيث لا يجد أية معارضة تحول دون غرس مبادئ التقبُّل والولاء للغرب في نفوس المسلمين ، حتى يشبُّوا مستغرَبين في حياتهم وتفكيرهم ، وحتى تخف في أنفسهم موازين القيم الإسلامية ([١]) ٠

وخلاصة تعريف التغريب أنه طبع البلاد العربية والإسلامية بالقيم والعادات والتقاليد الأوربية ، وصبغ حياة المسلمين خاصة بالصبغة الغربية ، بقصد إبعاد المسلم عن تعاليم دينه ، المرتبطة بشئون حياته كلها ٠

والتغريب بهذا المعنى ليس بعيدا عن الغزو الفكري ، بل يُعدُّ التغريب ثمرة وحصادا مرًّا للغزو الفكري ، المُكمِّل لأساليب الغزو التقليدية حينا ، والبديل عنها أو عن بعضها في بعض الأحيان ٠

والغزو الفكري معناه : أن تتبنى أمة من الأمم . وبخاصة الأمة الإسلامية . معتقدات وأفكار أمة أخرى من الأمم الكبيرة ، دون نظر فاحص وتأمل دقيق لما يترتب على ذلك التبني من ضياعٍ لحاضر الأمة الإسلامية وتبديد لمستقبلها ٠ أو أن تتخذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم لدولة من هذه الدول الكبرى ، فتطبقها على أبنائها وأجيالها ، فتشوه بذلك فكرهم وتمسخ

---

(١) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ١٤٥ ٠ الاستشراق بين الجحود والإنصاف : الدكتور عبد الله سمك ، ص ٩٥ و ٩٦ ٠ مخططات التنصير لغزو العالم الإسلامي : الدكتور عادل عبد القادر ، ص ٢١٧ ٠

عقولهم ، وأن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب ، فضلا عن أن تحل محلها ، أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية والإقليمية ٠

أو هو أن يحول العدو بين أمة من الأمم . وبخاصة الأمة الإسلامية . وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها ، ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدولة الكبيرة الغازية وسير أعلامها وقادتها ، فيشب المثقف من أبناء تلك الأمة المقهورة وليس في نفسه مثل إلا ما يقرأ عنه في تاريخ الدولة الغازية ٠

أو هو أن تستورد الأمة المغزوة أخلاق الأمة الغازية وعاداتها وتقاليدها ، ومعلوم أن الأخلاق يجب أن تكون نابعة من القيم الأصيلة التي تسود الأمة وتحكم سلوكها ، فإذا ما استوردت أمة من الأمم أخلاقها وقيمها من أمة أخرى ، مسخت بذلك شخصيتها ، وتنكرت لأصالتها ، وعاشت تابعة ذليلة للأمة التي قلدت أخلاقها ٠

وسلاح هذا الغزو هو : الفكرة ، والكلمة ، والرأي ، والحيلة ، والشبهات ، وبراعة العرض ، وشدة الجدل ، وتحريف الكلام عن مواضعه ٠ فهو يتميز بالشمول والامتداد ، وهو حرب دائمة لا يحصرها ميدان ، بل يمتد إلى شُعَب الحياة الإنسانية جميعا ، وتسبق حروبَ السلاح وتواكبها ، ثم تستمر بعدها لتحقيق ما عجز السلاح عن تحقيقه ([١]) ٠ فالتغريب والغزو الفكري وجهان لعملة واحدة ، والصلة بينهما وثيقة ، ويُغني أحدهما عن الآخر ويسدُّ مسده ، بل إن التغريب هدف أصيل للغزو الفكري ٠

ب ـ جذور التغريب :

لقد ارتدت الحملة الصليبية مهزومة بعد معركة حطين ، وفتح العثمانيون عاصمة الدولة البيزنطية سنة ١٤٥٣ م ، واتخذوها عاصمة لهم ، وغيروا اسمها إلى إسلامبول أي دار الإسلام ، بل وصلت الجيوش العثمانية

(١) انظر : الغزو الفكري وأثره على المجتمع الإسلامي : الدكتور علي عبد الحليم محمود ، ص ١١ و ١٢ ٠ بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد : الدكتور علي عبد الوهاب ، ص ١٧ و ١٨ ٠

إلى أوربا ، وهددت فيينا سنة ١٥٢٩ م ، وظل هذا التهديد قائما حتى سنة ١٦٨٣ م ، كل ذلك كان مدعاة للتفكير بالتغريب ، والغزو الفكري أساس له ، ليكون الحل الذي يُحطِّم العالم الإسلامي من داخله ٠

وعرف العالم المعاصر الغزو العسكري من دولة قوية لأخرى ضعيفة ، وعانت الدول الضعيفة الويلات من هذا الغزو وقدَّمت التضحيات من أبنائها ، ونافحت من أجل حاضر مغتَصَب سيئ ، ومستقبل مهدد بما هو أسوأ ٠ وذاقت البلاد الإسلامية . على وجه الخصوص . مرارة غزو اقتصادي ، وتجرعت به كأس الحرمان والتجويع والإرهاب ، ودفعت راضية أو كارهة من خيراتها ومقدراتها ما هي في مسيس الحاجة إليه ، ووجدت نفسها عالة في كل شيء على الدول التي سرقت خيراتها واغتصبت حقوقها ٠

وإذا كان العالم الإسلامي . بخاصة . والعالم النامي قد عرف ذلك وعاش تلك المتاعب والآلام ، وبذل من الجهود والدماء ما تصور أنه سوف يتخلص به من أنواع الغزو هذه ، فإن الأعداء الماكرين سريعا ما يُغيِّرون خططهم ، ويستبدلون بأساليبهم العنيفة أساليب جديدة ، وبغزوهم العسكري غزوا تغريبيا وفكريا ، يكملون به أبعاد الصورة التي يرسمونها لاستغلال الشعوب ، ويصلون به ما انقطع من وسائلهم في احتكار خيرات الشعوب ، ويحققون ما فشلت القوة والآلة العسكرية من تحقيقه ٠

فالعالم الإسلامي يمر اليوم بمرحلة دقيقة من حياته ، تختلف اختلافا كبيرا عن مرحلة الاستعمار السابقة ، فقد أصبح واضحا أن الاستعمار تخلى عن احتلاله لأغلب بلدان العالم الإسلامي ، بعد أن اطمأن إلى أن له نفوذا قادرا على الحركة بدلا منه ، وهو في نفس الوقت أخفى من الخفاء وأدق من الدقة نفسها ، ذلك النفوذ هو الغزو الفكري والاستعمار الثقافي ، أو ما يطلق عليه التغريب ٠

لقد واجه العالم الإسلامي زحفا سياسيا واجتماعيا وثقافيا حاقدا طامعا

منظما ، فقاوم كثيرا ، ولكن كان هناك انحطاط عام في كل ميدان من ميادين الحياة الإسلامية بسبب بُعْد المسلمين عن الإسلام الصحيح فهما وتطبيقا ، كان هناك تخلف في العلم ، وجمود في التفكير ، وركود في الفقه والتشريع ، وقصور في التربية والتوجيه ، وفساد في الإدارة والحكم ، وكان العدو الزاحف متفوقا في هذه المجالات ، فبهر أبصار الكثيرين ، وخلب ألبابهم ، فبدأوا يسيرون في دربه ، ويتبعون سنته ، شبرا بشبر وذراعا بذراع ٠

وبدأ العدو الزاحف الماكر يخطط للاستيلاء على شعوب هذا العالم الإسلامي بعد أن استولى على أرضه ، فقد علم أن الاستيلاء على الأرض ليس معناه الاستيلاء على أهلها ، لأن الاستيلاء على الأرض يتم بقوة السلاح ، أما الاستيلاء على البشر فلا يجدي فيه الأسلحة ، ولا تغني الجيوش والأساطيل ، بل لابد من عمل منظم لتغريب العالم الإسلامي حتى يقبل الاستعمار الغربي ، ويهضم حضارته ويتتلمذ على أهله ، ولهذا رسم خطته بدهاء ومكر ، وشرع يُنفِّذُها بأناة وصبر ، ولم يصنع ما كان يصنع الفاتحون الأولون من تدمير المساجد ، أو تحريق المصاحف ، أو إلقاء الكتب في الأنهار ٠

لقد صمم الغرب الصليبي الزاحف أن يهدم ويدمر ، ولكن بأسلوب غير أسلوب التتار ([1]) والصليبيين القدماء ٠ لقد اتجه إلى تدمير العقائد والأفكار

---

(١) التتار : التَّتار أو التَّتر كلمة أطلقها العرب على مجموعة القبائل المغولية التي اجتاحت الشرق العربي وبلاداً إسلامية أخرى في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. يرجع ظهور التَّتار كقبائل متميزة إلى نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي، وقد عاشوا ضمن القبائل المغولية، ويُرجَّح كذلك أن موطنهم الأصلي جنوب شرق بحيرة بايكال 0 ولم يظهر التَّتار عنصراً فعّالاً في الساحة الدولية إلا بعد ظهور قائد المغول المشهور جنكيزخان1167-1227 م الذي حقق وخلفاؤه انتصارات كبيرة وأقام امبراطورية شاسعة ٠ من أبرز أحفاد جنكيزخان، هولاكو الذي قضى على الخلافة العباسية في بغداد عام1258 م، واجتاحت جيوشه بلاد الشام ، حتى رُدَّت على أعقابها في معركة عين جالوت عام1260 م ٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

، وهدم القيم والأخلاق ، وتحطيم الآداب والتقاليد ، بمعاول خفية لا تراها الأعين بسرعة ، ولا تلمسها الأيدي بسهولة ، وبأساليب ماكرة لا تثير الشعوب ، ولا تغضب الجماهير ، ولهذا نجح في قتل الشعوب ، ولكن بغير إطلاق الرصاص ، وضرب السيوف ، بل بطريقة السم البطيء ، يوضع في الدسم والحلوى ([1]) ٠

فجذور التغريب أو الغزو الفكري قديمة ، تمتد إلى الوقت الذي فشلت فيه الحروب الصليبية ، وعجزت عن تحقيق أهدافها ، فكان التغريب هو السلاح البديل لتلك الحروب ٠

ج ـ آثار التغريب وصلته بالاستشراق :

كان للتغريب والغزو الفكري المنظم الذي استخدمت فيه كل الوسائل، وتسلح بالدهاء والمكر ، والعلم والمال ، واستند إلى سلطان القوة وقوة السلطان ، وامتلك أجهزة التعليم ووسائل الإعلام ، كان لهذا التغريب آثاره ونتائجه الخطيرة في حياة المسلمين ، تلك الآثار التي بدأت تبرز وتتسع يوما بعد يوم.

وكان أخطر نتائجه شيوع التبعية الفكرية للغرب ، والعبودية الذليلة لكل ما يصدر عنه من مبادئ وقيم ، ومفاهيم وأنظمة ، وأخلاق وتقاليد ، وأفكار ومفاهيم ٠

ووجَّه التغريب أكبر همه إلى تكوين قادة للمستقبل ، قادة يصطنعهم لنفسه ، ويصنعهم على عينه ، ويربيهم في أحضانه ، ويغريهم بثقافته وأفكاره ، ويغرس فيهم الخضوع ـ عن طواعية ـ لنظمه وتقاليده ، والتقديس لمناهجه وفلسفته ٠ إن صناعة هذا الجيل الذي سيقود السفينة فيما بعد ويقبض على زمام التوجيه والتثقيف والتربية والإدارة والسياسة والتشريع ، كانت أهم ما عُني

---

(١) انظر : مخططات التنصير لغزو العالم الإسلامي : الدكتور عادل عبد القادر ، ص ٢١٧ ٠ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ١٥٣ و ١٥٤ ٠ الغزو الفكري وأثره على المجتمع الإسلامي : الدكتور علي عبد الحليم محمود ، ص ٩ و ١٠ ٠

به الاستعمار الخبيث ، وكان النجاح في صناعته أعظم نصر حققه في المعركة بينه وبين الشرق الإسلامي ٠ وبرز من هذا الجيل أناس يدعون إلى اتِّباع الغرب في كل شأن من شئون حياته الفردية والأسرية والاجتماعية ، المادية والروحية والثقافية ([١]) ٠

ومن أشهر من دعا في العالم العربي إلى تقليد الغرب واتِّبَاع مناهجهم في الخير والشر ، صاحب كتاب " مستقبل الثقافة في مصر " ، حيث بيَّن في كتابه هذا سبيل النهضة بقوله : " لكن السبيل إلى ذلك ليست في الكلام يرسل إرسالا، ولا في المظاهر الكاذبة ، والأوضاع الملفقة ، وإنما هي واضحة بينة مستقيمة ليس فيها اعوجاج ولا التواء ، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد ، وهي : أن نسير سير الأوربيين ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب " ([٢]) ([٣]) ٠ وهذه الدعوة في حقيقتها ليست إلا ضربا من التأليه للأوربيين بحيث نُحلُّ ما أحلوا ، ونُحرِّم ما حرموا ، ونُحسِّن ما حسَّنوا ، ونُقبِّح ما قبَّحوا ٠

---

(١) انظر : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا : الدكتور يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة (القاهرة) ، ص ١٦ و ٣٣ و ٣٤ ٠

(٢) مستقبل الثقافة في مصر : الدكتور طه حسين ، ١٩٩٣ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة) ، ج ١ ص ٤١ ٠

(٣) لم يفرق طه حسين وأمثاله من هذا الجيل بين ما يصح اقتباسه وما لا يصح ، وما يجوز استيراده وما لا يجوز ، ولو أنهم نادوا باقتباس الجانب العلمي المحض الذي ينشأ عنه رقي الصناعة ، وزيادة الإنتاج ، ونمو العمران ، وازدهار الحياة المادية ، ما رأينا بذلك بأسا ولا حرجا ، فإن العلم المحض بطبيعته عالمي لا دين له ولا جنسية ، وإنما البأس والحرج في اقتباس الثقافة والتقاليد ، والأفكار والمفاهيم ، والقيم والموازين ، التي تتميز بها كل أمة عن غيرها ٠ انظر : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، ص ٤٠ ٠

ولتحقيق هذا الهدف أنشأ كرومر ([١]) كلية فيكتوريا بالإسكندرية ([٢]) ، لتربية جيل من أبناء الزعماء والوجهاء في محيط انجليزي ، ليكونوا أداة المستقبل في نقل ونشر الحضارة الغربية ٠ وقال المندوب السامي البريطاني في مصر حينما افتتح هذه الكلية سنة ١٩٣٦ م : كل هؤلاء لن يمضي عليهم وقت طويل ، حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية ، بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ ([٣]) ٠ هذا الجيل هو أخطر آثار التغريب ، وهو الذي حمل لواءه في العالم العربي والإسلامي ، وحقق ما لم يحققه أساتذته ٠

إن التغريب هجمة استعمارية صليبية صهيونية في آن واحد ، التقت

---

(١) كرومر : اللورد كرومر (١٨٤١ ـ ١٩١٧)، دبلوماسي ومندوب سامي بريطاني. كان من كبار دعاة التغريب والاستعماريين في العالم الإسلامي وواحد من الذين وضعوا مخطط السياسة التي جرى عليها الاستعمار ولا يزال, في محاولة للقضاء على مقومات العالم الإسلامي والأمة العربية. وتمثل كتاباته في تقاريره وفي كتابه (مصر الحديثة) خطة عمل كاملة للقضاء على مقومات الفكر العربي الإسلامي وتمزيق وحدة العالم الإسلامي, ومقاومة القيم والمفاهيم العربية والإسلامية. ولقد أمضى اللورد كرومر في مصر ما لا يقل عن ربع قرن قابضًا على زمام السلطات (١٨٨٢-١٩٠٦), وقد عمل أول مرة في مصر مندوبًا لصندوق الدين المصري ١٨٧٧, ثم ما لبث أن عين بعد الاحتلال البريطاني مباشرة مندوبًا ساميًا, ومعتمدًا لبريطانيا. انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٢) الإسكندرية : لقبها «عروس البحر الأبيض المتوسط» ، تعتبر العاصمة الثانية لمصر ، وقد كانت عاصمتها قديما، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط ٠ تضم الإسكندرية بين طياتها الكثير من المعالم المميزة، إذ يوجد بها أكبر موانئ مصر البحرية ، وتضم أيضًا مكتبة الإسكندرية الجديدة التي تتسع لأكثر من ٨ ملايين كتاب ٠ يبلغ عدد سكان الإسكندرية حوالي ٤,١٢٣,٨٦٩ نسمة (٢٠٠٦) ٠ بدأ العمل على إنشاء الإسكندرية على يد الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ ق.م ، واتخذها الإسكندر الأكبر وخلفاؤه عاصمة لمصر لما يقارب ألف سنة، حتى الفتح الإسلامي لمصر على يد عمرو بن العاص سنة ٦٤١ ٠ اشتهرت الإسكندرية عبر التاريخ من خلال العديد من المعالم مثل مكتبة الإسكندرية القديمة ، ومنارة الإسكندرية والتي اعتبرت من عجائب الدنيا السبع ، وذلك لارتفاعها الهائل الذي يصل إلى حوالي ٣٥ مترًا، وظلت هذه المنارة قائمة حتى دمرها زلزال قوي سنة ١٣٠٧ ٠ انظر : الموسوعة الحرة ٠

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ١٤٦ بتصرف ٠

على هدف مشترك بينها ، ألا وهو طبع العالم الإسلامي بالطابع الغربي ، التماسا لمحو الطابع المميّز للشخصية الإسلامية ٠

وقد حمل لواء التغريب وتحدياته الفكرية المبشرون والمستشرقون : فالمبشرون اعتُمدت لهم الميزانيات الضخمة ، والوسائل العديدة من معاهد علمية ، ومنشآت صحية واجتماعية ، إلى جانب المكتبات والصحافة والجمعيات الثقافية ، والإرساليات التبشيرية ٠

وقام المستشرقون بدراسة الثقافة الإسلامية دراسة عميقة ، ليتصيدوا فيها الشبهات ، وأقوال المنحرفين والغلاة لتجسيمها ، واتخاذها وسيلة لتشكيك المسلمين في عقيدتهم ، تحت شعار البحث العلمي ، وهو ادعاء كاذب ، وبريق خادع في مجمله ، وذلك بهدف إخراج المسلمين من مقومات فكرهم ، وأهمها مقومات الإسلام ، ثم إخراج الإسلام من مقوماته أيضا ، وذلك بتفسيره تفسيرا يقضي على قيمته الإسلامية ، ويجعله دينا تعبديا خالصا ، ليس له صلة بالمجتمع والإنسان ، وتشكيل أجيال جديدة لا ترى إلا هذا الرأي ، وبذلك يتم القضاء على أهم عناصر القوة في فكر المسلمين وحياتهم ، وذلك بعد أن أدركوا أنه لا قِبَل لهم بمواجهة الإسلام كعقيدة ، فقرروا الهروب من هذه المواجهة إلى الالتفات حول الثغرات التي فتحتها الحضارة الغربية في جدار الثقافة الإسلامية ، واختراق الإسلام من خلالها ٠

والقضايا التي أثارها المستشرقون لتحقيق هذا الهدف كثيرة ومتعددة ، حتى يمكن القول بأنها شملت كل مجالات الفكر والبحث ، ولم تَدَعْ مسألة واحدة دون أن تثير حولها الشبهات ، وتحاول أن تحطم ما تحمله من قيم ٠ وأبرز هذه القضايا : الدعوة إلى عالمية الثقافة وتجزئة الإسلام ، والنظرية المادية ، وإقليمية الأدب ، ونقد النص القرآني ، وتزييف التاريخ ، وتدمير البطولة ، وإحياء الأساطير والشعوبية ، ومحاولة إسقاط الدور الذي قامت به الحضارة الإسلامية وإذاعة الإغريقيات ، وفصل الأدب عن مقومات المجتمع

، وإذاعة الأدب المكشوف والإباحية والإقليمية الضيقة ، وتعظيم الغرب واتهام الأدب العربي ، وتغريب التربية والتعليم والجامعة ([1]) ٠ كل هذا يؤكد الصلة الوثيقة بين الاستشراق والتغريب ، فالاستشراق أحد جناحي الاستعمار ، وأداة التغريب ، ولولاه ما تحققت أهداف التغريب في بلاد العالم الإسلامي ٠

أكتفي بهذا القدر من الحديث عن مفهوم الاستشراق ونشأته وأسبابه ، وصلته بأجنحة المكر الأربعة : التبشير والاستعمار والصهيونية والتغريب ، التي اتَّفقت فيما بينها على احتلال أرض المسلمين ، والسيطرة على خيراتها ، وتدمير الإسلام عقيدة وشريعة ، والنيل من رسول الله " صلى الله عليه وسلم " ، وتفتيت وحدة المسلمين ، وغسل أدمغتهم ليتحوَّلوا عن الإسلام مصدر عزتهم وقوتهم وسعادتهم ، واتَّبعوا . لأجل تحقيق تلك الأهداف . كل وسيلة ، سواء أكانت عسكرية أم اقتصادية أم ثقافية فكرية ، وهي أخطرها ، حيث حقَّقت ما عجزت الوسائل السابقة عن تحقيقه ، وهي الحرب الباردة التي تقتل الإسلام والمسلمين بدم بارد ، وتتسلل إلى بلاد الإسلام تحت جنح الظلام تسلل القطا ، لا يشعر بها أحد ، ولا تزال تعمل حتى اليوم ، ومن ورائها كتائب المبشرين والمستشرقين ، والإرساليات والمؤسسات والمنظمات ، ورؤوس الأموال العالمية الضخمة التي رُصدت لنجاح هذه المهمة ، لكن الله من ورائهم محيط ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره هؤلاء الحاقدون ٠

---

(١) انظر : اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب : الدكتور أنور الجندي ، دار الاعتصام (القاهرة) ، ص ١١٩ ٠ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ١٥٤ ٠ مخططات التنصير لغزو العالم الإسلامي : الدكتور عادل عبد القادر ، ص ٢٥٨ ٠ بين الإسلام والغرب : الدكتور علي عبد الوهاب ، ص ٣٤ ٠

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله الأمين ، صل اللهم وسلم وبارك على نبينا الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد ...

ففي خاتمة هذا البحث أحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأُقدِّم في هذه الخاتمة : أهم النتائج والتوصيات ، وترجمة لأهم الأعلام البلدان والمصطلحات الغامضة ، وفهرسا للمراجع والموضوعات .

أولا : أهم النتائج والتوصيات :

أ . أهم النتائج :

بعد هذه الدراسة لمفهوم الاستشراق وصلته بأجنحة المكر الأربعة ، خلص البحث بنتائج ، أهمها :

١ . الاستشراق في اللغة العربية كلمة عصرية ، وهي كذلك في اللغات الأجنبية . والاستشراق في الاصطلاح يعني : دراسة حضارة الشرق عامة ، وحضارة الإسلام خاصة ، في مجالها المادي والمعنوي ، بغية تشويهها . والمستشرقون هم جماعة من الغربيين غالبا ، خصَّصوا حياتهم لدراسة الشرق الإسلامي بأديانه وعلومه ، ولهم طبقات من حيث الزمن والاتجاه العام نحو الإسلام .

٢ . اختلف الباحثون حول بداية نشأة الاستشراق ، على النحو التالي : الرأي الأول : بدأ الاستشراق في القرن الأول الهجري السابع الميلادي ، ويُستدل على ذلك بما فعله عبد الله بن سبأ الذي أبطن اليهودية وأظهر الإسلام . الرأي الثاني : بدأ الاستشراق في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ، ودليل ذلك ما فعله يوحنا الدمشقي ، المعروف بآثاره في الدراسات الاستشراقية . الرأي الثالث : بدأت حركة الاستشراق في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ، حين تمَّت ترجمة القرآن الكريم لأول مرة إلى

اللغة اللاتينية ٠ الرأي الرابع : بداية الاستشراق القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، عندما صدر قرار مجمع فيينا الكنسي سنة ١٣١٢ م بإنشاء عدد من الكراسي لتدريس اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية ٠ الرأي الخامس : بداية الاستشراق القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، الذي ظهر فيه الإصلاح الديني ، بسبب الاتصال الوثيق بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي ٠ الرأي السادس : الاستشراق بدأ في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي ، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب استعمار العالم الإسلامي وسرقة مخطوطاته ٠ ويمكن الجمع بين هذه الآراء بأن بعضها يتحدث عن بداية الاستشراق حيث كان فرديا غير منظم ، والبعض الآخر يتحدث عن الاستشراق حين اتسعت دائرته بعد الحروب الصليبية ، والبعض الأخير يتحدث عن الاستشراق في صورته الأخيرة الجماعية المنظمة ٠

٣ ـ مرت حركة الاستشراق بأطوار تاريخية ، أهمها : طور التكوين : بدأ هذا الطور عندما فتح المسلمون بلاد الأندلس ، واتسم بالآتي : ضعف الحياة العلمية في الغرب ، ونشأة الاستشراق في كنف الكنيسة ، والحقد الأعمى على الإسلام ٠ طور التقدم : بدأ هذا الطور بعد انتهاء الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين ووقوع لويس التاسع في الأسْر ، حيث رسم خطةً لغزو فكري بديل عن الغزو العسكري ، واتسم هذا الطور بالآتي : زيادة سلطة البابوات ورجال الدين ، واحتكاك الغربيين بالمسلمين ، وإنشاء كراسي للغات الشرقية في الجامعات الغربية ، والاهتمام بالترجمة ، وتنوع الدراسات الاستشراقية ٠

طور الانطلاق : بدأ هذا الطور في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي حيث ظهرت الطباعة ، واهتم الغرب بطباعة نفائس العرب ومخطوطاتهم ، والعكوف على دراستها ٠ وفي القرن الثامن عشر تأثرت حركة

الاستشراق تأثرا كبيرا بالحملة الفرنسية على مصر ، والتي كانت مجهزة بعلماء في كل ضرب من ضروب ثقافة ذلك العصر ٠ وفي القرن التاسع عشر وفي عهد محمد علي توافد عدد كبير من المستشرقين لبناء دولة عصرية في مصر ، كما أوفد محمد علي بعثات إلى أوربا في مختلف المجالات للغرض نفسه ٠ طور الازدهار : بدأ هذا الطور في القرن العشرين الذي احتل فيه العالم الغربي العالم الإسلامي ، وازداد اهتمام الدول الغربية بالدراسات الاستشراقية في جامعاتها ، وركزت تلك الدراسات على تشويه حقائق الإسلام ، وانتقاد أوضاع غير المسلمين " أهل الذمة " في بلاد الإسلام ٠

٤ . بذل المستشرقون جهودا مضنية في تلك الدراسات لأسباب : دينية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية ، منها :

هناك الدافع الديني المتمثل في الكراهية والحقد المترسب في أعماق أهل الكتاب والمشركين منذ بزوغ فجر الإسلام ، والتنفيس عن الحروب الصليبية العسكرية بتلك الحروب التي تشوِّه الإسلام ، ومواجهة حركات الإصلاح الديني المسيحية ، ووقف المد الإسلامي داخل أوربا ، والتنصير بدينهم بين المسلمين ، وتهيئة الأجواء لمجيء الاستعمار والبقاء بعد رحيله ٠ وهناك الدافع السياسي المتمثل في مشورة الدول الغربية ملحقيها الثقافيين من المستشرقين في الدول التي يريدون استعمارها ٠ وهناك الدافع الاقتصادي حيث يهدف الاستشراق إلى السيطرة على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية والثروات الأرضية في الشرق ٠ وهناك الدافع العلمي حيث يرمي المستشرقون في دراساتهم إلى الانتقاص من تعاليم الإسلام ، وكانت تلك الدراسات بعيدة عن الحيدة والطابع العلمي ، بسبب الحقد الدفين الذي لازم المستشرقين طوال تاريخهم ٠

٥ . الاستشراق والتبشير وجهان لعملة واحدة ، وتوأمان تجمعهما وحدة الهدف والغاية ، وهي خدمة الاستعمار ، وتوهين القيم الإسلامية ، وتفتيت

وحدة المسلمين ، وصرفهم عن الإسلام ، والتعاون والتنسيق بينهما قائم ومستمر ، فالمستشرقون يقومون بتصنيع السموم (الشبهات) ، ويقوم المبشرون بترويجها ، وإن كان هناك فرق بينهما فإنما هو في أسلوب العمل فقط ، لتحقيق الهدف المشترك ٠

٦ ـ صلة الاستشراق بالاستعمار وثيقة ، فالدراسات الاستشراقية كانت بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشرق وأوديته ، من أجل فرض السيطرة عليه ، وتبرير تلك السيطرة الاستعمارية ، وضمان استمرارها بإضعاف روح المقاومة في نفوس المسلمين ، وفي المقابل أنشأ الاستعمار عدة مؤسسات في البلاد المستعمَرة لخدمة الاستشراق ٠ وكذلك كانت صلة التبشير بالاستعمار ، وهذا ما أكده المبشرون والمستعمرون أنفسهم ، وما سجَّله المفكرون الأحرار في بلاد الاستعمار ، فالتبشير يمثل الركيزة الأولى التي يعتمد عليها الاستعمار في بسط نفوذه على الشرق الإسلامي ، ولتحقيق هذا الهدف هيأت السياسة الاستعمارية المناخ اللازم لعمل المبشرين في العالم الإسلامي ٠

٧ ـ صلة الاستشراق باليهودية الصهيونية قديمة ، منذ مولد الاستشراق في بلاد الأندلس ، حيث اطمأن اليهود إلى تسامح المسلمين ، فأقبلوا على دراسة العلوم العربية والإسلامية ، لمحاولة التشكيك في الإسلام ، وإسقاط الأمة العربية من مكانها التاريخي والعلمي والحضاري ، وخدمة الصهيونية فكرة أولا ثم دولة ثانيا ، وكان لكثير من اليهود دور كبير في هذه الحركة الاستشراقية قديما وحديثا ٠

٨ ـ التغريب هو صبغ الحياة الإسلامية بالصبغة الغربية ، وإبعاد المسلم عن تعاليم دينه المرتبطة بشئون حياته ، وهو ثمرة مرَّة من ثمار الغزو الفكري ، وجذوره ممتدة منذ فشل الحروب الصليبية ٠ ومن أخطر آثار التغريب : شيوع التبعية الفكرية للغرب ، والعبودية الذليلة لكل ما يصدر عنه من مبادئ وقيم ، ومناهج وأنظمة ، وأخلاق وتقاليد ، وأفكار ومفاهيم ٠ والصلة وثيقة

بين التبشير والاستشراق وبين التغريب ، حيث حمل المبشرون والمستشرقون لواء التغريب ، الذي هو هدف لهما ، واعتُمدت الميزانيات الضخمة والوسائل العديدة للمبشرين ، وقام المستشرقون بدراسة الثقافة الإسلامية دراسة عميقة بقصد تشويهها ، وتشكيك المسلمين في عقيدتهم وشريعتهم وحضارتهم ٠

ب . أهم التوصيات :

بعد هذه الجولة حول " مفهوم الاستشراق وصلته بأجنحة المكر الأربعة " يوصي البحث بالآتي :

١ . كشف اللثام عن المصطلحات الخادعة التي يُخفي وراءها أعداء الإسلام . في الداخل والخارج . أهدافهم الخبيثة ، والرد على ما يثيرونه من شبهات وافتراءات وأضاليل حول الإسلام عقيدة وشريعة ، ونشر هذا الرد على العالمين ٠

٢ . تدريس مادة الاستشراق في كل كليات جامعة الأزهر ، وإنشاء أقسام علمية لهذا التخصص بالجامعات الإسلامية ، لتحصين الشباب المسلم من هذا الخطر الداهم ، وتثقيفه وتعريفه صحيح الإسلام وعظمته ووسطيته ٠

٣ . عقد مؤتمرات على مستوى العالم الإسلامي لبحث كيفية مواجهة جناحي الاستعمار (الاستشراق والتبشير) بأساليب وطرق حديثة ، مع تقديم العالم الإسلامي الدعم المالي اللازم لتلك المواجهة على أرض الواقع ٠

٤ . الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين ، وما يعانيه الفلسطينيون اليوم من استيطان لأراضيهم وتشريد واستباحة لأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وهتك لآدميتهم ، ما هو إلا ثمرة مرة وحصاد أثيم لتعاون الصليبية الغربية والصهيونية العالمية ، وعلى الأمَّتين العربية والإسلامية ألا تقف موقف المتفرج أو المتابع ، بل يجب أن تقوم بواجبها وأن يكون لها دور في حل هذه القضية الأم ، وضمان العيش الكريم للشعب الفلسطيني الشقيق ٠

٥ . إلقاء مزيد من البحث والدراسة حول الموضوعات الآتية : نشأة

الاستشراق والأطوار التاريخية التي مر بها خاصة الاستشراق الحديث في القرنين التاسع عشر والعشرين . أوجه الاتفاق والاختلاف بين الاستشراق والتبشير في الأهداف والأساليب والوسائل وخدمة الاستعمار . دور اليهود في الحركة الاستشراقية قديما وحديثا . دور الاستشراق اليهودي في خدمة الصهيونية العالمية فكرة أولا ثم دولة ثانيا . آثار الاتصال الإيجابية والسلبية بين المسلمين والمسيحيين في بلاد الأندلس وأثناء الحروب الصليبية ٠

ثانيا : فهرس الأعلام والبلدان والمصطلحات المترجم لها

العلم أو البلد ٠٠	ص	العلم أو البلد ٠٠	ص	العلم أو البلد ٠٠	ص	العلم أو البلد ٠٠	ص
ابن خلدون	٣٢	الحروب الصليبية	١٥	القرون الوسطى	٥	اليهود	٦
أدنبرج	٣٨	دمشق	٤٦	القسيس	٦	اليهودية	٦
الأردن	٤٦	الدير	١١	الكاثوليك	٢٢	يوحنا الدمشقي	٩
أريوس	٩	دينيه	٢٧	الكاهن . الكهنوت	١٣	ـــــ	ـ
أسبانيا	١٤	الراهب	٦	كرومر	٥٢	ـــــ	ـ
إسرائيل	٢٠	روما	١٤	كمبردج	١٩	ـــــ	ـ
الإسكندرية	٥٢	ريموند لول	١١	الكنيسة	١٠	ـــــ	ـ
الإصلاح الديني	١٢	زويمر	٣٩	لاهاي	٢٥	ـــــ	ـ

أكسفورد	١٧	زينب بنت جحش	١٠	اللنبي	٤٦	ـــــ	ـ
انجلترا	١٧	ستالين	٣٨	لوثر	٢٢	ـــــ	ـ
الإنجيل	١٨	صقلية	١١	لويس التاسع	١٦	ـــــ	ـ
الأندلس	١٠	صلاح الدين الأيوبي	١٥	الماسونية	٤٢	ـــــ	ـ
إيطاليا	٣٧	صموئيل مرجليوث	٤٣	المأمون	١٤	ـــــ	ـ
باريس	١١	طليطلة	١١	محمد علي	٢٠	ـــــ	ـ
البروتستانت	٢٢	عبد الله بن سبأ اليهودي	٨	مرسليا	١٨	ـــــ	ـ
بروكلمان	٤٣	عبد الله بن عباس	٣٢	المسيحية	٦	ـــــ	ـ
بغداد	٥	علي بن أبي طالب	٩	مصر	١٩	ـــــ	ـ
بندلي جوزي	٤٣	الفاتيكان	١٧	المكابيون	٤١	ـــــ	ـ
التتار	٥١	الفراء	٢	مكة	٢٢	ـــــ	ـ
التلمود	١٨	فرنسا	١٧	المنصورة	١٦	ـــــ	ـ
التوراة	٣٠	الفلبين	٤٥	موقعة	١٦	ـــــ	ـ

			حطين				
توماس أرنولد	٢٦	فلسطين	٢٨	ميشيل سكوت	١١	ـــــ	ـ
تيودور هرتزل	٤٠	فنسنك	٤٣	نابليون بونابرت	١٩	ـــــ	ـ
الجزائر	١٧	الفونس	١٠	النصارى	١٨	ـــــ	ـ
جولد تسيهر	٤٢	فيينا	١٢	النصرانية	٢٩	ـــــ	ـ
جولدا مائير	٤٥	القاهرة	٥	هرقل	٩	ـــــ	ـ
الجوهري	٣٢	القدس	٤٠	اليسوعيون	٣٨	ـــــ	ـ

ثالثا : فهرس المراجع (١)

	القرآن الكريم (كلام رب العالمين) ٠
١	أجنحة المكر الثلاثة : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، الطبعة السابعة ، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م ، دار القلم (دمشق) ٠
٢	أديان ومذاهب معاصرة : الدكتور عبد العزيز تمام يوسف ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م ، مكتبة المنار الإسلامية (الكويت)٠
٣	أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : المستشار علي محمد جريشة ومحمد شريف زيبق ، دار الاعتصـــام (القاهرة) ٠
٤	الاستشراق بين الجحود والإنصاف : الدكتور عبد الله سمك ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م ٠
٥	الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : الدكتور محمود حمدي زقزوق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م ، دار المنار للنشر والتوزيع (القاهرة) ٠
٦	الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم : الدكتور مصطفى السباعي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (القاهرة) ٠
٧	الاستشراق وجه للاستعمار الفكري : الدكتور عبد المتعال محمد الجبري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م ، مكتبة وهبة (القاهرة) ٠
٨	الاستعمار أحقاد وأطماع : الشيخ محمد الغزالي ، الطبعة

(١) صُدِّرت هذه المراجع بالقرآن الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ورُتِّبت باقي المراجع ترتيبا هجائيا ٠

	السادسة ، ٢٠٠٨ م ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)٠
٩	أسد الغابة في معرفة الصحابة : الإمام على بن محمد الجزرى " ابن الأثير " ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت) ٠
١٠	أضواء على الاستشراق والمستشرقين : الدكتور محمد أحمد دياب ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م ، دار المنار للطباعة وللنشر والتوزيع (القاهرة) ٠
١١	أطلس الكتاب المقدس : حرره الأستاذ هـ ٠ هـ ٠ رولي ، ١٩٨٣ م ، دار النشر المعمدانية (بيروت) ٠
١٢	البداية والنهاية : الإمام ابن كثير الدمشقي ، تحقيق أحمد أبو ملحم وغيره ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م ، دار الريان للتراث (القاهرة) ٠
١٣	بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد : الدكتور علي محمد عبد الوهاب ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م ، دار ركابي للنشر ٠
١٤	تاج العروس من جواهر القاموس : الإمام السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٦ هـ ، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر ٠
١٥	تاريخ المسيحية : المسيحية في العصور الوسطى : جاد المنفلوطي ، ص ٣ ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية (القاهرة) ٠
١٦	التبشير الخطر الداهم : الدكتور عبد الكريم حسن بلال ، الطبعة ألأولى ، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م ٠

١٧	التبشير بين النظرية والتطبيق : الدكتور مجدي محمد فهيم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م ٠
١٨	التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبي محمد وبلاد الإسلام : المستشار محمد عزت الطهطاوي ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ . ١٩٩١ م ، الزهراء للإعلام العربي (القاهرة) ٠
١٩	التلمود دراسة تأصيلية (ماجستير) : محمود عبد الله علي عبد الحميد ، ٢٠١٥ م ، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة . قسم الأديان والمذاهب ٠
٢٠	التنصير بين الماضي والحاضر وكيفية مواجهته : الدكتور محمد زين العابدين محمد والدكتور عادل محمد درويش ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م ، المنار للطباعة والنشر ٠
٢١	جذور البلاء القسم الأول: عبد الله التل ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م ، المكتب الإسلامي (بيروت)٠
٢٢	حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر : اللواء أحمد عبد الوهاب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م ، مكتبة وهبة (القاهرة) ٠
٢٣	الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا : الدكتور يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة (القاهرة) ٠
٢٤	دائرة المعارف الكتابية ، مجلس التحرير: القس صموئيل حبيب وقساوسة آخرون ، المحرر وليم وهبة بباوي ، دار الثقافة (القاهرة)
٢٥	الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية : رودي بارت ، ترجمة مصطفى ماهر ، ١٩٦٧ م ، دار الكتاب العربي (القاهرة) ٠

٢٦	دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية : الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ ، مكتبة العلوم والحكم(المدينة المنورة)
٢٧	دراسات في الأديان والنحل: الدكتور أحمد أحمد غلوش ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م ، مؤسسة الرسالة (القاهرة) ٠
٢٨	دراسات في التيارات المعاصر (٢) العلمانية الوجودية الماسونية الواقعية : الدكتور عادل محمد محمد درويش والدكتور أحمد عبد المبدي أحمد وآخرون ٠
٢٩	دراسات في النصرانية : الدكتور عادل محمد محمد درويش والدكتور عبد الله حسن علي ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤ هـ . ٢٠١٣ م ، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) ٠
٣٠	دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين : الشيخ محمد الغزالي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٩ م ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) ٠
٣١	سير أعلام النبلاء : الإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م ، مكتبة الصفا (القاهرة) ٠
٣٢	شريعة الرومان : البيئة ٠ المصدر ٠ المآل : فتحي المرصفاوي ، دار النهضة العربية (القاهرة) ٠
٣٣	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩ م ، دار العلم للملاين (بيروت).

٣٤	الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : الأستاذ أبو الحسن علي الحسيني الندوي ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧ هـ . ١٩٧٧ م ، مطبعة التقدم (القاهرة) ٠
٣٥	صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين : الدكتور عبد الله ناصح علوان ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٧ م ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (القاهرة) ٠
٣٦	العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، جوزيف نسيم يوسف ، ١٩٨٣ م ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع (الإسكندرية) ٠
٣٧	العلاقة بين الدين والدولة في اليهودية والنصرانية والإسلام (دكتوراه) : الدكتور ماجد عبد السلام إبراهيم ، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م ، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة . قسم الأديان والمذاهب ٠
٣٨	الغزو الثقافي يمتد في فراغنا : الشيخ محمد الغزالي ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ م ، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة ٠
٣٩	الغزو الفكري وأثره على المجتمع الإسلامي : الدكتور علي عبد الحليم محمود ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٠ هـ . ١٩٨٩ م ، دار المنار الحديثة (القاهرة) ٠
٤٠	فضح التلمود : تعاليم الحاخامين السرية : الأب آ ٠ بي ٠ برانايتس ، إعداد زهدي الفاتح ، الطبعة الرابعة ، ١٤١١هـ . ١٩٩١ م ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت).
٤١	الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه : محمد الدسوقي ، الطبعة

	الأولى ، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع (المنصورة) ٠
٤٢	الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي : الدكتور محمد البهي ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م ، مكتبة وهبة (القاهرة) ٠
٤٣	فلسفة التبشير أو إفلاس الكنيسة : الدكتور نوح الغزالي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م ٠
٤٤	قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ، هيئة التحرير بطرس عبد الملك وآخرون ، الطبعة التاسعة ، دار الثقافة (القاهرة) ٠
٤٥	القاموس المحيط : الإمام محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م ، دار إحياء التراث العربي (بيروت) ٠
٤٦	قاموس المذاهب والأديان : حسين علي حمد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م ، دار الجيل (بيروت) ٠
٤٧	قوى الشر المتحالفة : الاستشراق ٠ التبشير ٠ الاستعمار وموقفها من الإسلام والمسلمين : محمد محمد الدهان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع (المنصورة) ٠
٤٨	لسان العرب : الإمام ابن منظور ، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٣ م ، دار الحديث (القاهرة) ٠
٤٩	الماسونية نشأتها وأهدافها : الدكتور أسعد السحمراني ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت) ٠

٥٠	متن اللغة : أحمد رضا ، ١٣٧٨ هـ . ١٩٥٩ م ، مكتبة الحياة (بيروت) ٠
٥١	محاضرات في مفهوم الاستشراق : الدكتور محمد زين العابدين محمد ، ١٤١٠ هـ . ١٩٨٨ م ٠
٥٢	محاضرات في مفهوم التبشير : الدكتور محمد زين العابدين محمد ، ١٤١٠ هـ . ١٩٨٩ م ٠
٥٣	محنة التوراة على أيدي اليهود : عصام الدين حفني ناصف ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥هـ . ١٩٦٥م ، مطبعة الرسالة (القاهرة) ٠
٥٤	مختار الصحاح : الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، عني بترتيبه محمود خاطر ، دار الفكر العربي (القاهرة) ٠
٥٥	مخططات التنصير لغزو العالم الإسلامي من خلال مؤتمر كولورادو ١٩٨٧ م (دكتوراه) : الدكتور عادل محمد عبد القادر ، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة . قسم الأديان والمذاهب ٠
٥٦	المستشرقون والتاريخ الإسلامي : علي حسني الخربوطلي ، ١٩٨٨ م ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب (القاهرة) ٠
٥٧	المصباح المنير: الإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م ، دار الحديث (القاهرة)٠
٥٨	معجم البلدان : الإمام الحموي ، ١٣٩٧ هـ . ١٩٧٧ م ، دار صادر (بيروت) ٠
٥٩	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م ، دار الحديـــث (القاهرة) ٠
٦٠	معجم المؤلفين : تراجم مصنفى الكتب العربية : عمر رضا

	كحالة ، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربى (بيروت) ٠
٦١	معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ . ١٩٩٣ م مؤسسة الرسالة (بيروت) ٠
٦٢	المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، الطبعة الثالثة ٠
٦٣	معجم بلدان فلسطين : محمد محمد حسن شراب ، الطبعة العربية الثانية ، ٢٠٠٠ م ، الأهلية للنشر والتوزيـــع (عمان . الأردن) ٠
٦٤	معركة التبشير والإسلام : الدكتور عبد الجليل شلبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٩ م ، مؤسسة الخليج العربي (القاهرة)
٦٥	مقاييس اللغة : الإمام أحمد بن فارس بن زكريا ، راجعه وعلق عليه أنس محمد الشامي ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م ، دار الحديث (القاهرة)
٦٦	الملة والنحلة في اليهودية ٠ المسيحية ٠ الإسلام : الدكتور حمدي عبد العال ، الطبعة الأولى ، دار القلم للنشر والتوزيع (الكويت)
٦٧	الملل والنحل : الإمام أبو الفتح الشهرستاني ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م ، مؤسسة ناصر للثقافة (بيروت) ٠
٦٨	من مواقف علماء الأزهر في الدفاع عن الإسلام (دكتوراه) : الدكتور عبد الله علي عبد الحميد ، كلية الدعوة الإسلامية (القاهرة)

٦٩	الموسوعة العربية العالمية ، الطبعة الثانية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع (الرياض) ٠
٧٠	الموسوعة العربية الميسرة : مجموعة من العلماء والخبراء والمديرين بإشراف محمد شفيق غربال ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٩ م ، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع . المكتبة العصرية (صيدا . بيروت) ٠
٧١	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : الندوة العالمية للشباب الإسلامي (الرياض)، ١٣٩٢ هـ . ١٩٧٢م٠
٧٢	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : الدكتور مانع بن حماد الجهني ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ هـ ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع (الرياض) ٠
٧٣	نافذة على الاستشراق النشأة والأهداف : الدكتور ياسر محمد عبد اللطيف علي ٠
٧٤	ويكيبيديا الموسوعة الحرة wikipedia0org ٠
٧٥	يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء : الدكتور رءوف شلبي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م ، دار التوحيد (المنصورة) ٠
٧٦	اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب : الأستاذ أنور الجندي ، دار الاعتصام (القاهرة) ٠
٧٧	اليهودية : الدكتور محمد بحر عبد المجيد ، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م ، مركز الدراسات الشرقية (جامعة القاهرة) ، سلسلة الدراسات العربية والتاريخية ، العدد ٢٠ ٠

رابعا : فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص البحث: ١٢
المقدمـــة ١٥
المطلب الأول: مفهوم الاستشراق ونشأته وأسبابه ٢١
أولاً: مفهوم الاستشراق في اللغة والاصطلاح: ٢١
أ ـ مفهوم الاستشراق في اللغة: ٢١
ب ـ مفهوم الاستشراق في الاصطلاح: ٢٦
ثانياً: نشأة الاستشراق: ٣٢
أ ـ بداية الاستشراق: ٣٢
ب ـ الأطوار التاريخية للاستشراق: ٤٠
ثالثاً: أسباب الاستشراق: ٥٣
المطلب الثاني ٦٤
أولاً: صلة الاستشراق بالتبشير: ٦٤
ثانياً: صلة الاستشراق بالاستعمار: ٦٩
الخاتمـــة ١٠٨
ثانيا : فهرس الأعلام والبلدان والمصطلحات المترجم لها ١١٣
ثالثا : فهرس المراجع () ١١٦
رابعا : فهرس الموضوعات ١٢٥

نتهى البحث

والله ولي التوفيق،،،